وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 مـــــاي 1945 قالـــــمة

كلـــــية الـــعلوم الإنـــــسانية والإجتـــــماعية

قسم التـــــــاريخ

العلاقة بين مقاومتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي (1832 - 1848م)

مذكـــرة مقـــدمة لـــنيل شـــهادة المـــاستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطلبة:

- صونيا زغدودي
- فاطمة زراولية

إشراف الأستاذ:

السبتي بن شعبان

لجنة المناقشة

الأســـــــــتاذ	الرتـــــــبة	الصـــــفة	الجامـــــــعة
أ.د. شايب قدادرة	أستاذ التعليم العالي	رئيـــــــسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د. الحواس غربي	أستاذ محاضر "ب"	مـــــناقشـــــا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ. السبتي بن شعبان	أستاذ مساعد "أ"	مـشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2019 - 2020م

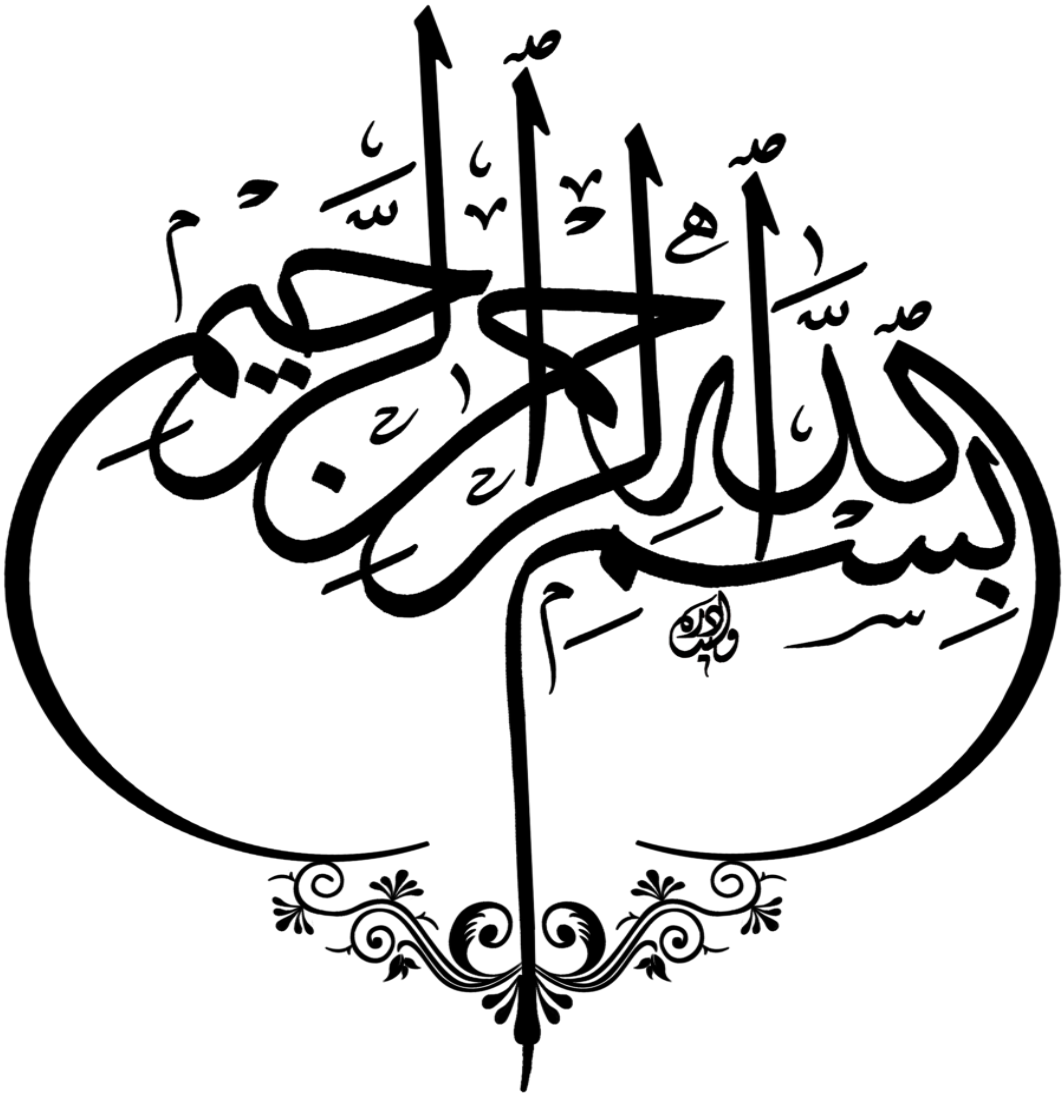
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وتقديـــــر

جاء في الأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل المشرف على هذه المذكرة الأستاذ بن شعبان السبتي الذي بذل الكثير من الجهد والعناء لتحسين هذا البحث وإخراجه على خير الوجود بصورة مرضية فكان منه التوجيه والمتابعة والقراءة والتعديل حرصا منه أن يصل البحث إلى أفضل مرحلة من مراحل إخراجه. ويجدر بنا هنا في هذا المقام أن نشيد برحابة صدره وصبره، مما كان له أكبر الأثر في مجازة الكثير من العقبات التي واجهت هذا البحث فنسأل الله العلي القدير أن يجزيه عنا خير الجزاء كما نقدم شكرنا و تقديرنا لأعضاء لجنة المناقشة المحترمة كما نقدم بجزيل الشكر لكل أساتذة التاريخ خاصة أساتذة التاريخ المغرب الحديث والمعاصر وإلى كل من ساهم في انجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة التوبة، الآية: 105]

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلى بشكرك ..... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ..... و تطيب الآخرة إلا بعفوك ..... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسلم.

إلى عبق طفولتي إلى دفء حياتي وأريج شبابي إلى ملجئ وملاذي إلى حبيبي وروح قلبي أبي "عبد الله" رحمه الله برحمه الواسعة وأسكنه فسيح جناته آمين.

إلى حبيبتي التي شاركتني همي وحزني .... إلى من ذرفت الدموع من أجلي ....

إلى من لها روحي لتعانق روحها الفدية وتتصاغر أمام صفائها إلى أمي الغالية "زهرة" أطال الله في عمرها وأبقاها فوق رؤوسنا

إلى حبيبتي التي تَحملت كل لحظة ألم في حياتي منذ صغري وحولتها إلى لحظات فرح

إلى من حمتني من حر الصيف بورود من أزهار الربيع إلى أختي الغالية "دليلة"

إلى أختي وصديقتي وحبيبتي الغالية "ليلي"

إلى القلوب الطاهرة الرفيقة والنفوس البريئة إخوتي "حكيم"، "مراد"، "عبد الكريم"، "خالد"

إلى البراعم الصغيرة: "مؤيد عبد الله"، "لميس"، وإلى الكتكوتة "ليليان"،

إلى أوفى أصدقائي: "آية"، "وفاء"، "فاتن"، "رزيقة"

إلى صديقتي التي جمعتني بها الدراسة وتعبت معي في إنجاز المذكرة "صونيا"

فاطمة

إهـــــداء

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين أما بعد:

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى والدي الكريمين فخرا وشرفا أعتز بهما فوق الواجب، إلى بهجة القلب وهبة الرب وكمال الود إلى التي تعبت لأرتاح وسهرت لأنام إلى الشمس التي تضيء صباحي "أمي الحنونة" إلى من جرعت كأس فارغا ليسقيني قطرة الحب، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى "أبي العزيز" إلى من أرى التفاؤل في أعينهم إلى شموع البيت إخوتي إلى كافة الأهل والأقارب والأصدقاء

إلى من قاسمتني هذا العمل المتواضع أختي ورفيقة دربي "فاطمة" إلى كافة أساتذة وطلبة قسم التاريخ خاصة الأستاذ المشرف "السبتي بن شعبان"

مقدمة

مقدمة:

تعرضت العديد من دول العالم الثالث خلال الفترة الحديثة إلى ظاهرة "الإستعمار والهيمنة" في إطار الحركة التوسعية التي أنتجتها أوروبا مستخدمة في ذلك مختلف الوسائل والأساليب من أجل فرض سيطرتها على المجال الجغرافي والبشري، وتعد الجزائر واحدة من هذه الدول التي تعرضت لمخطط إستعماري مدروس سنة 1830م تقوده فرنسا التي تعتبر من أكبر الدول الأوروبية الإستعمارية، وكنتيجة للحركة الإستعمارية الفرنسية التوسعية واجهت فرنسا منذ البداية مقاومة عنيفة من قبل الزعماء والقادة وشيوخ الطرق الصوفية، ومن أبرز وأخطر هذه المقاومات: مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري ومقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري.

أسباب إختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتنا في اختيار موضوعنا العلاقة بين مقاومتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي ما يلي:

أولا: الرغبة في دراسة جانب مهم من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر المتعلق بظاهرة المقاومة .

ثانيا: البحث في طبيعة المقاومة وخصوصياتها تحت قيادة أبرز رجال المقاومة في الجزائر الحديثة.

ثالثا: الرغبة في تشخيص طبيعة العلاقات وخلفياتها بين الأمير عبد القادر وأحمد باي.

رابعا: محاولة الكشف عن الأسباب التي حالت دون توحيد المقاومة الجزائرية تحت قيادة واحدة.

إشكالية البحث:

وللتعمق في دراسة الموضوع حاولنا الإجابة على عدة تساؤلات تخص على أي أساس بنيت العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي؟

والإشكال الأهم: كيف تأرجحت العلاقة بين مقاومتي الأمير عبد القادر في الغرب؟ والحاج أحمد باي في الشرق؟

وتتفرع عنه جملة من التساؤلات وهي:

- هل كانت هناك إتصالات بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي؟ ماهي طبيعة هذه الإتصالات؟ وما هي نتائجها؟ أم أن الخلاف ومحاولة الإنفراد بالمقاومة هو ما يميز هذه العلاقات؟
- كيف إستغلت فرنسا الخلافات الناتجة عن سوء العلاقة بين الطرفين؟
- هل كانت هناك محاولات من الطرفين لتوحيد المقاومة ضد الإستعمار الفرنسي؟
- لماذا لجأ الأمير إلى مهادنة فرنسا وترك الفرصة للقضاء على مقاومة أحمد باي؟

حدود البحث:

تناسقا مع طبيعة بحثنا ودراستنا حصرنا معالجته عبر مجالين رئيسيين:

- المجال الزمني: (1832- 1848م): أي منذ بداية المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري وأحمد باي في الشرق الجزائري إلى غاية نهايتها.
- المجال الجغرافي: ويتعلق الأمر بإقليم الغرب والشرق الجزائري، حيث حاولنا تحديد المجال الجغرافي الذي شملته المقاومة، مبرزين أهم المناطق التي شهدت كبريات المعارك.

ولتحليل هذه الإشكالية اعتمدنا على خطة تتضمن مقدمة وثلاث فصول وخاتمة كان الفصل الأول بعنوان "مقاومة الأمير عبد القادر" تناولنا فيه مبحثين، المبحث الأول بعنوان "التعريف بشخصية الأمير عبد القادر" تطرقنا فيه إلى نسبه ومولده، نشأته، توليه البيعة، بناء دولته.

والمبحث الثاني بعنوان "مراحل مقاومة الأمير عبد القادر"، تطرقنا فيه إلى مرحلة الانطلاق والقوة (1832- 1837م) ومرحلة الهدوء المؤقت (1837- 1839م) ومرحلة الضعف (1839- 1847م).

أما الفصل الثاني يندرج تحت عنوان "مقاومة الحاج أحمد باي" تناولنا فيه مبحثين كان المبحث الأول بعنوان " التعريف بشخصية أحمد باي" تطرقنا فيه إلى نسبه و مولده، نشأته، توليه الحكم، أما المبحث الثاني فكان بعنوان "مراحل مقاومة الحاج أحمد باي " تطرقنا فيه إلى مرحلة تنظيم المقاومة (1836_1844م) ومرحلة التصدي للجيوش الفرنسية (1844_1848م)

أما الفصل الثالث والأخير ينطوي تحت عنوان "العلاقة بين الأمير عبد القادر وأحمد باي" تضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان "عوامل التشابه" تطرقنا فيه إلى التنظيم والمواجهة، المبحث الثاني كان بعنوان "عوامل الإختلاف"، تطرقنا فيه إلى الإنتماء العرقي والموروث الفكري والثقافي والتدبير السياسي والدبلوماسي، أما المبحث الثالث كان بعنوان "إنعكاسات العلاقة على المقاومة"، وتطرقنا فيه إلى توقيع معاهدتي الأمير عبد القادر مع فرنسا وموقف الباي منها وإحتلال قسنطينة وعلاقة أحمد باي والأمير عبد القادر بالباب العالي.

إضافة إلى خاتمة التي تضمنت مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع

مناهج البحث:

لقد اعتمدنا في بحثنا على ثلاثة مناهج رئيسية:

- المنهج الوصفي: يكمن في تقصي وجمع المادة العلمية ومحاولة الإلمام بخصوصية المقاومة في الشرق والغرب الجزائري.
- المنهج التحليلي: وذلك بشرح وتحليل بعض القضايا والمواقف والإجابة على بعض الأسئلة الحساسة التي تكشف لنا حقيقة العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي.
- المنهج المقارن: فقد اعتمدنا على هذا المنهج بشكل كبير محاولين من خلاله إبراز طبيعة كل مقاومة على حدى وخصائصها وما يميزها عن الأخرى.

أهم المصادر والمراجع:

المصادر:

1. محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، سيرته الذاتية، ج1، المطبعة التجارية عزوروزي وجاويش، الإسكندرية، 1930م.
2. شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية، تونس، 1974م.
3. محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

المراجع:

1. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
2. بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة ومقاوم (1830-1848م), دار حكمة، الجزائر، 2009م.
3. محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي (1830-1918م)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.

الصعوبات:

من أهم الصعوبات التي واجهتنا نذكر:

- تشعب موضوع الدراسة وحساسيته لأننا أمام شخصيتين أحدهما تعتبر نفسها أكثر وطنية من الشخصية الثانية.
- تشابه المادة العلمية في أغلب المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها حتى أنها تكاد تتكرر.

- قلة الدراسات الأكاديمية المعمقة في موضوع البحث خاصة التي تتناول العلاقة بين الشخصيتين.
- الأوضاع السيئة والمتعسرة للبلاد نتيجة "وباء كورونا" وما خلفه من عواقب وصعوبات أثرت علينا كان من نتائجها صعوبة التواصل المباشر مع الأستاذ المشرف.

الفصل الأول:

مقاومة الأمير عبد القادر

المبحث الأول: التعريف بشخصية الأمير عبد القادر

المبحث الثاني: مراحل مقاومة الأمير عبد القادر

المبحث الأول: التعريف بشخصية الأمير عبد القادر

أولا: نسبه ومولده:

أ. نسبه:

هو الأمير عبد القادر المغربي الجزائري بن السيد محي الدين بن السيد مصطفى[1] بن السيد محمد بن السيد المختار[2]، بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد[3] مرضعته ابن السيد محمد بن السيد عبد القوى بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد القوى بن السيد خالد بن السيد يوسف[4] بن السيد أحمد بن السيد بشار[5] بن السيد مسعود بن السيد طاووس بن السيد يعقوب بن السيد عبد القوى ابن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد إدريس الأصغر بن السيد إدريس الأكبر[6] بن السيد عبد الله المحضن بن السيد الحسن المثنى بن السيد الحسن السبط ابن السيد علي بن أبي طالب، أمه فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين وإمام الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم[7]، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن سيدنا علي بن أبي طالب[8] وفاطمة الزهراء[9] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[10].

---

(1) عبد المجيد بيرم، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م، تح: محمد الصغير بناني، ط7، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص 46.

(2) علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت، [د.س ن]، ص 301.

(3) نزار أباضة، الأمير عبد القادر الجزائري، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1994م، ص 09.

(4) بن أشنهو، الدولة الجزائرية في 1830م، مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2013م، ص 11.

(5) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، باتنة، 2000م، ص 11.

(6) أديب حرب التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ط2، دار الرائد، الجزائر، 2004م، ص 69.

(7) يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، سيرته الذاتية وجهاده، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 39.

(8) محمد الصالح بجاوي، الأمير عبد القادر في ولاية بويرة، المكتب العربي للمعارف، القاهرة ، 2016م، ص 05.

(9) جيلاني ضيف، الأمير عبد القادر الجزائري بين الدولة والأمة، دار أسامة، الجزائر، 2013م، ص 19.

(10) السيدة الزهراء من عائلة أولاد سيدي بن دوخة سن لها الزواج قبل الشيخ محي الدين حيث انجبت ولدا ومات وأنجبت من محي الدين عبد القادر. أنظر: (A) Delpech, Histoire de hadj A bdelkadev par Son Cousin el Hossin ben Ali ben Abi Talb Traduction pdar adrien De……1876, P 419.

فالأمير عبد القادر من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فأحد أجداده هو مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وباني مدينة فاس، ورغم أن عبد القادر من أهل البيت إلا أنه كان يرفض رفضا قاطعا استغلال نسبه أو أصله من أجل اكتساب الاحترام والتقدير وطاعة الناس، فكان يقول: «لا تسألوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصله، بل اسألوا عن حياته وأعماله وشجاعته ومزاياه، وعندئذ تدركون من يكون»، وكان يستوحي ذلك من روح الإسلام الذي سوى بين البشر مهما كان أصلهم[1].

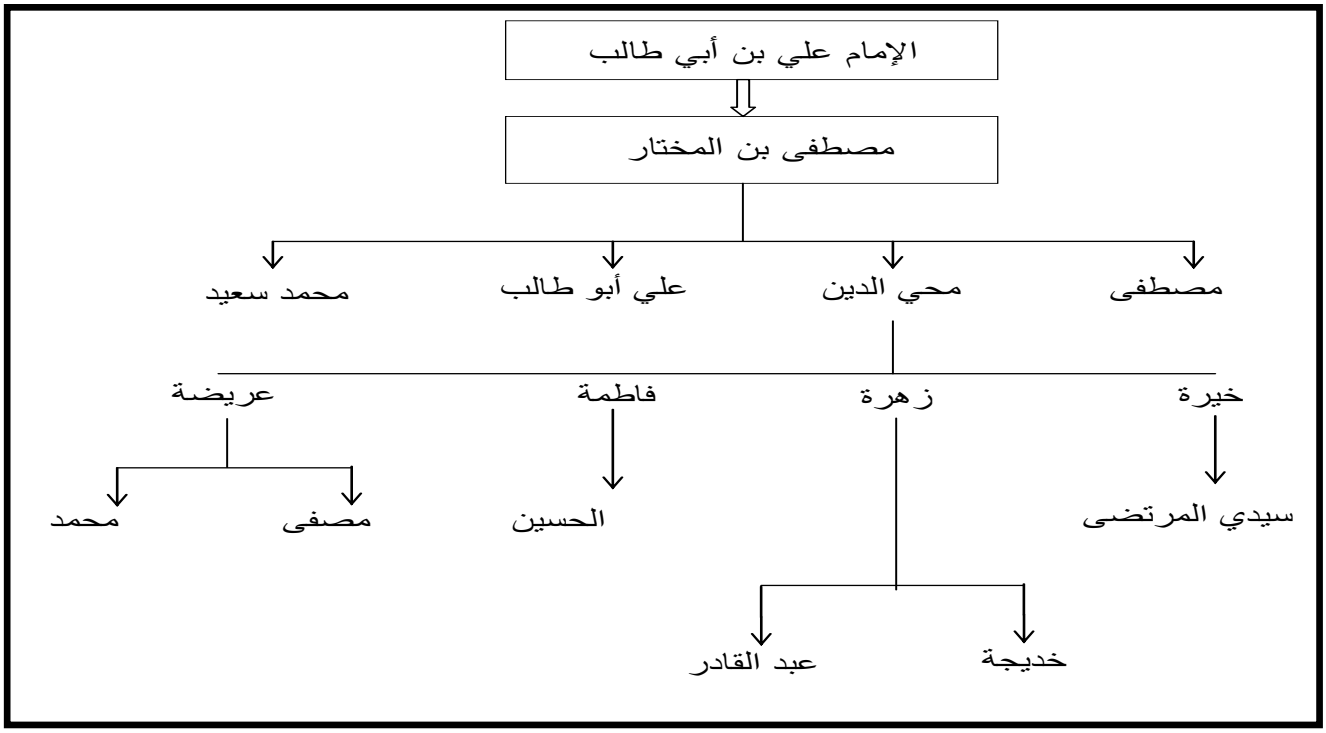

المرجع: أديب حرب، المرجع السابق، ص 69.

ب. مولده:

ولد الأمير عبد القادر يوم 23 رجب 1222هـ[2] الموافق لسنة 1807مٍ[3]، أما بالنسبة لشهر ميلاده فقد تضاربت المراجع حول هذا ولم يتفق المؤلفين حول تاريخ ميلاد واحد، مثلا على هذا نذكر على سبيل الذكر ليس على سبيل الحصر:

(1) بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830- 1989م)، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص 186.

(2) أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، مراجعة: محمد ذكري إبراهيم، المطبعة العمرانية للأوفست، القاهرة، 1991م، ص 19.

(3) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائري العام، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص 230.

- في كتاب محمد عثمان "الأمير عبد القادر الجزائري" ميلاد الأمير الذي ارجعه إلى شهر ماي قائلا: «ولد في 23 رجب 1222هـ مايو 1807م»[1].
- أسيا تميم "الشخصيات الجزائرية " بأنه مولود في شهر ماي عام 1807م[2].
- محمد الصالح البجاوي "الأمير عبد القادر في ولاية بويرة" بأنه ولد في شهر ماي سنة 1807م[3].
- هنري شرشل، "حياة الأمير عبد القادر" أكد بأنه مولود في نفس الشهر (ماي 1807)[4].
- بسام العسلي، " الأمير عبد القادر الجزائري" جاء فيه بأن الأمير قد ولد في شهر ماي قائلا: «ولد مع ولادة ربيع الحياة في يوم من أيام شهر أيار–مايو سنة 1807م»[5]، فالأمير عبد القادر ينتمي إلى منطقة تدعى القيطنة[6]، في الغرب الجزائري[7]، في وادي الحمام غرب مدينة معسكر[8].
- على النقيض من ذلك جاء في مراجع عدة عكس ذلك منها :

(1) محمد عثمان، الأمير عبد القادر الجزائري رب السيف والقلم، الدار المصرية، القاهرة ، 2013م، ص 07.
(2) آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية، دار المسك، الجزائر، 2008م، ص 15.
(3) محمد صالح بجاوي، المرجع السابق، ص 05.
(4) شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية، تونس، 1974م، ص 39.
(5) بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، طبعة خاصة، دار النفائس، الجزائر، 2010م، ص 17.
(6) اف دينيرن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص 20.
(7) عمر بن قنية، الأمير عبد القادر الجزائري، المجاهد، الشاعر، المصور، دار أثالة للنشر، الجزائر، 2010م، ص 10.
(8) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص 154.

- ناصر الدين سعيدوني في كتابه "عصر الأمير عبد القادر الجزائري" يرجع تاريخ ميلاده إلى شهر سبتمبر 1807م غير ذاكر اليوم بالتحديد، ذكر بأنه رابع أخوته[1]، ولد بمقر يسمى القيطنة[2].
- يحي بوعزيز في كتابه موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب أنه ولد في السادس والعشرين من شهر سبتمبر 1807م[3]، بقرية القيطنة في وادي الحمام غرب مدينة معسكر[4].
- كما أكد في كتاب آخر له "الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري "على أن الأمير مولود يوم الخامس والعشرين من سبتمبر لسنة 1807م، قائلا: «... ولد في 23 رجب 1222هـ الموافق ليوم سبتمبر وليس شهر ماي كما هو مشاع»[5].

ثانيا: نشأته:

نشأ عبد القادر بين أحضان والديه مستمدًا منهما كل الخصال الحسنة، تلقى تعليمه الأول في القيطنة التي هي مسقط رأسه، في المدرسة الثانوية التي جمع فيها أجداده المرابطون الشبان لكي يدرسوهم علوم اللغة والتوحيد والفقه[6] فكانت نشأته في محيط ديني، علمي، ثقافي، كما كان له موضع خاص بالإهتمام والعناية والرعاية من طرف والده الذي

(1) ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ، 2000م، ص 155.

(2) **القيطنة:** واقعه على وادي الحمام الجميل، بناها جده، حملت هذه التسمية إشارة إلى أنها ليست قرية مرتحلة وإنما هي مستقرة...أنظر: أحمد درويش، في صحبة الأمير بن أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، [د.م ن]، 2000م، ص 145.

(3) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا ...، المرجع السابق ،ص 154.

(4) **معسكر:** مدينة وديعة تقع في منطقة خصبة تعرض فيها لبيع جميع المنتجات المحلية، فهي مدينة غير محصنة فموقعها لا يسمح بذلك. أنظر: يوهان كارل بيونت، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص 61.

(5) يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر ... ، المرجع السابق، ص 39.

(6) قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، توليه الإمارة، تر: مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجامعة، 2007م، الجزائر، ص 58.

كان يميل إليه ميلا خاصًا[1]، حيث كان يدرك بأنه سيكون لهذا الفتى شأنا عظيما، فحاول أن ينشأه نشأة تكون ركيزتها مستمدة من الدين الإسلامي لتحمل المسؤولية[2]، فأخذت مواهب عبد القادر تظهر في سن مبكرة حيث أتقن القراءة والكتابة وهو صغير في السن لا يتجاوز سن الخامسة من عمره، كما أفلح وتمكن من قراءة القرآن الكريم وأصول الشريعة والحديث وهو في الثالثة عشر من عمره[3] ولما بلغ الرابعة عشر من عمره أصبح من حفظة القرآن الكريم[4]، إضافة إلى ذلك سارع في تلقي العلوم التاريخية والفلسفية والفقهية وتعلم مبادئ شتى العلوم اللغوية والشرعية، وبإتمام دراسته سافر عام 1821م إلى مدينة أرزيو الساحلية الواقعة شمال مدينة معسكر[5]، فتولى السي أحمد بن الطاهر الرجل العالم قاضي أرزيو بتعليمه الرياضيات، علم الفلك، الجغرافيا والتاريخ من خلال المسعودي وابن خلدون وقد أثر فيه تأثيرًا كبيرًا[6].

بعدها ذهب إلى مدينة وهران مدينة العالم الفقيه أحمد بن خوجة صاحب دار الأعيان، فكان اختياره لمدينة وهران رغبة في التوسع في شتى المعارف اللغوية والفقهية، إضافة إلى رغبته في دراسة النحو والبيان والفلسفة والمنطق راغبا في تثبيت مكانته الأدبية والشعرية حيث كان يجتهد ويحاضر مختلف حلقات العلم لعلماء وهران منهم "الشيخ مصطفى الهاشمي"، "الشيخ بن نقريد"، حيث قضى في هذه الرحلة العلمية عامين كاملين[7]، بعدها

(1) أف دينيرنت، المرجع السابق، ص 21.

(2) ابن شنهو، المرجع السابق، ص 13.

(3) عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 13.

(4) مصطفى صيامي، أسرى الأمير عبد القادر (1892-1847م)، تر: حضرية يوسفي، منشورات ANEP، الجزائر، 2013م، ص 16.

(5) بسام العسلي، المرجع السابق، ص 20.

(6) أحمد كمال الجزار,المرجع السابق , ص19.

(7) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص، 302

عاد إلى مسقط رأسه وتزوج ابنة عمه الأنسة "خيرة بنت أبي طالب" عام 1823م كان يعمل آنذاك معلما في القيطنة[1].

صاحب عبد القادر والده إلى الحج فطاف معه أشهر عواصم الشرق الأوسط[2]، حيث كانت رحلته هذه مبتدئة من تونس إلى القاهرة ثم دمشق وبغداد[3]، بعدها ذهب للحجاز حيث تعرف هناك على كبار الشخصيات ذات صلة بالعلم والدين والسياسة، فكان عبد القادر قد رزق من عند ربه بالذكاء والفطنة وسعة العقل هذا ما جعل هؤلاء الشخصيات يعجبون به فأصبح لدرجة أن يضرب به المثل بينهم في النبوغ واللطافة[4].

كان من بين مشاهير الشرق الذين تأثر بهم وأخذ عنهم في رحلته هاته الشيوخ "عبد الله الكزيري" إمام دمشق ومحدثها، و"ضياء الدين خالد النقشبندي الشهرودي"، "الشيخ محمود القادري نقيب أشراف بغداد"[5]، وغيرهم حيث قضى عناك عامين كاملين كان حينها لا يفارق كلية إلا إذا خرج للصلاة أو لتناول الطعام، فقرا في تلك الفترة على ما وصلت إليه المدن من الفقه والحديث والفلسفة والفلك والجغرافيا والتاريخ والطب، وأثناء تلك الفترة جمع مكتبه تعد من أغنى المكتبات في تلك الأيام[6]، بعدها عاد إلى القيطنة عام 1828م[7].

لم يكتفي الشاب الطموح الفطن عبد القادر بتلقي العلوم الدينية والدنيوية فاهتم بدراسة تاريخ بلاده ، بالإضافة إلى ذلك تعلم الفروسية فتمكن منها إلى درجة كبيرة حتى أنه يعتبر

(1) محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر: محمد يحياتن، المؤسسة الوطنية للاتصال، الرويبة، 2012م، ص 20.

(2) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 156.

(3) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 281.

(4) نزار اباضة، المرجع السابق، ص 10.

(5) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 154.

(6) سعيد بورنان، رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر، (شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962م) ، ط3، دار الأمل، تيزي وزو، 2015م، ص 56.

(7) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 154.

الفارس الأول في البلاد[1]، فقد اهتم اهتماما كبيرا بها وبركوب الخيل وفنون القتال فتفوق في ذلك على غيره من الشباب وبذلك يعتبر عبد القادر من القلائل الذين جمعوا بين الفروسية والعلوم الدينية[2]، فكان بطلا وكذلك فقيها وشاعر حيث قال: "الإحسان إلى الأحرار سلسلة في رقابهم تقودهم إلى محبة الحسن"[3].

ثالثا: توليه البيعة

كانت بيعته نتيجة سقوط عاصمة الجزائر بتاريخ "5 جويلية 1830م"، واستسلام آخر دايتها (الداي حسين) ورحيله من البلاد، كذلك استسلام باي وهران ورحيله هو الآخر[4]، فأشتد الأمر وكثر القتال وعظم الكرب، فنتج عن هذا الأخير أوضاع متردية كانت نتيجتها أن ألح سكان غرب الجزائر خاصة "المرابطين والأشراف والعلماء والأعيان والرؤساء" إلى الشيخ محي الدين بن مصطفى[5]، المبايعة للإمارة وقيادة المواجهة ضد العدو المحتل[6]، طامحين في تحسين الأوضاع باعتبار الجزائر كانت حينها تعيش في وضع خطير الناتج بسبب الفراغ السياسي والهجوم الإستعماري[7].

قام الشيخ محي الدين باستقبال المتوجهين إليه حيث أحذ معهم في الموضوع وفي الأخير اعتذر لهم لعدم قبوله طلبهم مبررا موقفه هذا لكبر سنه[8]، وعدم قدرته على قيادة القوات ضد المحتل في الإيالة[9]، ويقابل رفضه هذا أن أشار لهم أن يبعثوا بوفد إلى سلطان المغرب، ويعرضوا عليه إنضمام البلاد إلى سلطانه، فعملوا بمشورته وبعثوا وفدا إلى المغرب

(1) أف دينيرن، المرجع السابق، ص 21.

(2) بشير بلاح ، المرجع السابق، ص 169.

(3) محمد الصالح الجابري ، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1990م، ص 90.

(4) عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، الدار العثمانية، الجزائر، 2013م، ص 45.

(5) إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، [د.س ن]، ص 42.

(6) إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830– 1962م) ، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص 51.

(7) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، دار مدني، [د م ن]، 2008م، ص 15.

(8) أديب حرب، المرجع السابق، ص 85.

(9) آسيا تميم، المرجع السابق، ص 19.

لمقابلة السلطان، فكانت النتيجة أن قبل "مولاي عبد الرحمان" العرض، وعقد لإبن عمته "علي بن سليمان" على الجزائر حيث اتخذ تلمسان عاصمة للمقاطعة الجديدة التي امتد نفوذها حتى مليانة شرقا، وخُتِمَ الوضع بخطاب السلطان الذي كان في المساجد حيث كانت هذه الأخيرة بمثابة النهاية السعيدة لسكان الغرب الجزائري[1].

لما علمت السلطات الفرنسية بشأن هذا الأمر لم تتقبل هذه المستجدات المتضاربة مع مصالحها فبعثت سفيرها بطنجة إلى السلطان، حيث قدم له تهديدات وبين له العواقب الوخيمة التي ستنجم له نتيجة هذا التصرف، مما أدى بالسلطان إلى سحب جنوده[2]، التي دامت فترة دخولها للجزائر سوى ستة أشهر (كان التوسع المغربي في تلمسان ابتداء من 7 نوفمبر 1830م)[3]، وهذا ما جعل الأمور تؤول إلى حالتها الأولى[4].

لم يجد رؤساء القبائل والأعيان حلا إلى العودة ثانية إلى الشيخ محي الدين[5]، فاقترح عليهم ابنه عبد القادر لاعتقاده أنه أحق بها منه، لما له من قدرة وشجاعة تمكنه من صد العدوان[6]، حيث كان يرى فيه صفات رجل الدولة[7]، قائلا: "... ولدي عبد القادر شاب تقي فطين صالح لفصل الخصوم ومداومة الركوب مع كونه نشأ في عبادة ربه، ولا تعقدوا أني فديت به نفسي إلا أنه عضو مني ولأكرهه لنفسي أكرهه له ... غير اني ارتكبت أخف الضررين حين تيقنت الحق فيها قلتموه، مع تيقني أن قيامه به أشد من قيامي وأصلح .... فسخوت لكم به ..."[8].

(1) أ. بن شنهو، المرجع السابق، ص 21.

(2) أحمد محمد عاشوراكس، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني (1500- 1962م)، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009م، ص 139.

(3) محمد رزيق، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة تافنة 1837م، دار قرطبة، الجزائر، 2013م، ص 41.

(4)عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 21.

(5) أ. بن شنهو، المرجع السابق، ص 21.

(6) عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 265.

(7) أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار النهضة الغربية، بيروت، 2004م، ص 138.

(8) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 15.

استقبل الحاضرون هذا الحل الفجائي بالموافقة، فأرسل فارس لعبد القادر لإحضاره من القيطنة، وكان عبد القادر حينها يقود معركة ضد الجيش الفرنسي في مكان يدعى "حصن فليب"[1]، فلما علم بالأمر قال في هدوء وإنضباط: "أن من واجبي طاعة أوامر والدي"[2].

ولما أحس عبد القادر أن الغزو الفرنسي لوطنه ليس بالمناوشة العسكرية الهينة أو حتى مجرد استعراض، وتيقن من غياب رجل الساعة الذي يمكنه من تولي الأمر وإصلاح الأوضاع قبل المبايعة بالإمارة وتحمل المسؤولية[3]، فاجتمع علماء وأشراف ورؤساء قبائل الغرب الجزائري[4]، يوم الثالث في شهر رجب الفرد سنة 1248هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1832م[5]

كان الاجتماع في سهل غريس عند شجرة الدردار[6]، وهي الشجرة العظمية التي كانوا يجتمعون فيها من أجل الشورى والتفاهم[7]، هناك بايعوا الشاب عبد القادر، كان يبلغ آنذاك أربعة وعشرين سنة[8]، فتمت مبايعته على الطاعة والإخلاص والموت في سبيل الله والوطن[9]، قال عبد القادر: "إن الشريعة الإسلامية هي التي تفصل بيننا وسأسهر على تطبيقها بكل عدل وإنصاف حتى تتوحد إنشاء الله"[10].

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الرائد، الجزائر، 2009م، ص 172.

(2) عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 21.

(3) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 42.

(4) ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 19.

(5)عبد القادر سلاماني، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة (1832- 1847م)، دار قرطبة، الجزائر، 2013م، ص 26.

(6) عبد القادر قسمية، تأثر من الجزائر (رواية)، ط1، دار النفاس، لبنان، 2015م، ص 70.

(7) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، سيرتة الذاتية، ج1، المطبعة التجارية عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1930م، ص 97.

(8) جلال يحي، السياسة الفرنسية في الجزائر (1830- 1960م)، دار المعرفة، القاهرة، [د س ن]، ص 114.

(9) عمار عمورة، المرجع السابق، ص 265.

(10) أحمد بوشاقور، تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954م، موفم للنشر، الجزائر، 2009م، ص 08.

لقبه والده "ناصر الدين"[1] بعد المبايعة وقد خاطب محي الدين الجموع بقوله: "إليكم سلطانكم .... هذا هو ابن الزهراء فأطيعوه كما أطعتموني، واجتنبوا جفاءه، نصر الدين السلطان نصر عزيز مقتدر"[2].

فقال عبد القادر: "وأنا بدوري لن آخذ بقانون غير القرآن، لن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن، والقرآن وحده، فلو أن أتى الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن، لمات"[3]، واقترحوا عليه أن يكون سلطان لكنه اختار لقب "الأمير"[4].

فجاء نص البيعة كالآتي:

"بعد انعقاد البيعة للإمام المعظم والأمير الجليل المفخم، ابن أخينا السيد عبد القادر محي الدين، أحيا الله بهما الدين وأعانهما على القيام بأمور أهله[5]... بيعناه على السمع والطاعة وامتثال الأمر ولو في والد الواحد منا، أو نفسه وقدمنا نفسه على أنفسنا وحقه على حقوقنا"[6].

وجاء نص البيعة العامة كالآتي: (كتبها عمه علي أبي طالب بن مصطفى)

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله الذي جعل ذهب الإمام من مهمات الدين لتصان به النفوس والأموال وتجتمع كلمة المسلمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: لقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحمي بالسلطان، ما لا يحمي بالقرآن" هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل، ونصب فيه الجهل، فما بالك، بالزمان الذي كثر فيه الباطل وانتشر وخفي فيه الحق ولم يظهر له أثر حتى أن أعداء الله الكافرين ملكوا كثيرا من بلاد

(1) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 283.

(2) فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 52.

(3) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 16.

(4) محمد عثمان، المرجع السابق، ص 08.

(5) عمار عمورة، الرجع السابق، ص 265.

(6) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 42.

الإسلام وتشتت الكلمة واحتل النظام ولم يجد الناس لقتالهم سبيلا، ولا يكون للجهاد دليلا، فلجأوا إلى الله تعالى وسألوه أن ييسر لهم من يقوم بأمر دينهم، فما وجدوا من تتفق عليه كلمة أهل الحل والعقد سوى السيد "محي الدين ابن مختار" بكماله وكثرة ما عنده من الأعوان والأنصار فطلبوا منه أن يبايعوه على السمع والطاعة، واعتذر إليهم[1] لكبر سنه، فأتاه بعض من علماء غريس وهم من الصالحين، فقالوا له: "إن أولياء الله تعالى قد اتفقوا على نصب ولدك عبد القادر لنصر دين الله" ورأى أن ولده مستعد لهذا الأمر، ووافقهم على نصبه ونصرته لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم، فاجتمع أهل الحل ولعقد وبايعوه من غير طلب منه فحضر للبيعة جميع أهل غريس وأعلنوا جميعا بطاعته ونصرته والرعاية له بحيث أنهم يحمونه بما يحمون به أنفسهم وأموالهم، وأن ينصروه نصرا مؤزرا، واتفق علماء الإقليم على بيعته وطاعته ولم يخالف منهم أحد، وهم في حال طواعهم واختيارهم فعلى من بايع أن يبذل جهوده في نصرته وعضده لقول الصادق الأمين: "الدين النصيحة لله ولرسوله والأئمة المسلمين" ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.

وحضر ما ذكر من العلماء: السيد "محمد بن حواء بن يخلف"، والسيد "محمد بن عبد الله المشرفي"، والسيد "عبد الرحمن بن الحسن الدحاوي"، وكافة أبناء سيد "أحمد بن علي" وجميع علماء غريس و أشرافهم لهذه البيعة، وحضر كاتبه "محمد بن عبد القادر"، عامله الله بلطفه"[2].

في رجب 1248هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1832م

وبالتالي فقد تمت البيعة " لعبد القادر" لكونه ذا عزم وشجاعة ورأي وتدبير وطاعة فأذعنوا له وأنفذوا أمره وتمموا غرضه وفخره، فبايعوه بيعة تامة كاملة عامة، بيعة سلم

(1) محمد عثمان، المرجع السابق، ص 10.

(2) المرجع نفسه، ص 10.

وطاعة، بأفراد وجماعة بيعة عز وتعظيم وتسجيل وتكريم[1], الأمر الذي جعلها تعتبر البداية الصحيحة للمقاومة الوطنية والبداية القوية للحركة الوطنية الجزائرية في صورتها الواسعة[2].

البيعة الثانية

وبعد أن تمت البيعة توجه الأمير إلى مدينة معسكر، فدخل جامعها خطيبا يحث السكان وعناصر جيشه على الطاعة والاستعداد للقتال والتقيد التام بتعاليم الإسلام[3]، فبانتهاء البيعة كلف الأمير مجلس العلماء بأن يكاتبوا رؤساء القبائل في مختلف أطراف البلاد بأمر البيعة ويدعوهم إلى الحضور لأداء بيعتهم كما أداها غيرهم[4].

وفي 13 رمضان 1248هـ /4 فيفري 1833م[5] حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في ساحة مسجد معسكر، كتب نصها العلامة "محمود بن حوى المجاهري"[6]، داعية الجميع لتأييد التام والطاعة المطلقة لتأمين العدالة وإرجاع الأمن ومقاومة المحتل ومنها تدخل الجزائر بعهده مرحلة جديدة من الكفاح والجهاد المنظم المتشبع بروح القومية[7].

أما بالنسبة لنص البيعة الثانية فكان كالآتي:

"لما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط واستولى العدو على مدينة الجزائر ومدينة وهران، وطمحت نفسه العاتية إلى الإستلاء على الجبال والسهول والفدافد والتلال، وصار الناس في هرج ومرج وحيص بيص ...قام من وفقهم الله الهداية من رؤساء القبائل وكبرائها وصناديدها وزعمائها فتفاوضوا في نصب إمام يبايعونه على كتاب الله

(1) أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط2، تح: نصر الدين سعيدوني، البصائر، الجزائر، 2013م ، ص 34.

(2) عميراوي أحميده، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص 53.

(3) أديب حرب، المرجع السابق، ص 88.

(4)عبد القادر سلاماني، المرجع السابق، ص 27.

(5) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 103.

(6) إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 54.

(7) ابن أشنهوا، المرجع السابق، ص 24.

والسنة فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل إلا ذا النسب الطاهر والكمال الباهر، ابن مولان السيد "محي الدين" فبايعوه على كتاب الله العظيم وسنة نسبه الكريم"[1].

في 13 من رمضان 1248هـ الموافق لـ 4 فبراير 1833م.

تمت بيعة عبد القادر من خلال أهالي معسكر وشرق وغرب غريس وجيرانهم وحلفائهم بني شقران والبرجيين وبني عباس واليعقوبيين، وبني عامر، وبني جماهر وغيرهم فقد وافقوا بالإجماع على تعينه وانتخبوه لإدارة الحكومة وقد تعهدوا أن يطيعوه في السراء والضراء وفي الرخاء والشدة وأن يقدموا حياتهم وحياة أبنائهم وأملاكهم فداء للقضية المقدسة[2].

بناء الدولة:

لما تمت بيعة الأمير واستقام له الأمر، قام بعملية إنشاء الدولة من أجل الحرب، ومن عبقريته أدرك سلفا بأن المعركة بينه وبين المستعمر لن تكون سهلة أو عابرة، وكان يعرف من جهة أخرى أن الشعب الجزائري ليس الأول من الشعوب التي تستسلم بسهولة[3].

- **مرحلة تنظيم الدولة:**

سارع الأمير هنا إلى تعيين مركز دولته فقام بجعل مدينة معسكر "المعروفة باسم "الراشدية" الواقعة في المنطقة الشرقية في إقليم وهران[4] عاصمة للدولة الجزائرية بعد سقوط مدينة الجزائر في يد العدو[5]، حيث كونها كالآتي[6].

1. رئيس الوزراء: ويقوم بهذه المهمة الأمير عبد القادر "ناصر الدين".
2. نائب الرئيس.
3. وزير الخارجية.

(1) محمد عثمان، المرجع السابق، ص 11.

(2) جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، (1830-1914م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص 44.

(3) فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832-1847م)، مؤسسة بونة، الجزائر، 2012م، ص 98.

(4) إدريس خيضر، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830- 1962م)، ج1، دار الغرب، وهران، 2006م، ص 68.

(5) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 289.

(6) بسام العسلي، المرجع السابق، ص 26.

4. وزير خزانة المملكة.

5. وزير الخزينة الخاصة.

6. وزير الأوقاف.

7. وزير الأعشار والزكاة.

فمن رجال الدولة استوزر "محمد بن العربي"، واستكتب ابن عمه السيد "أحمد بن على أبي طالب" والسيد "الحاج مصطفى بن التهامي"[1]، والسيد "الحاج محمد الخروجي"[2]، وعين لحجابته "محمد بن علي الرجاوي"، وولى "الحاج الجيلاني بن فريحة" ناظر خزينة المملكة، و"محمد بن فاجة" ناظر الخزينة الخاصة، والحاج "الطاهر أبو زيد" ناظر الأوقاف، والسيد الحاج "الجيلاني العلوي" مأمورا على الأعشار والزكاة بأنواعها[3]، كما أوكل مهام ومسؤولية الأمور الخارجية "الحاج الميلود بن عراس" [4].

فبعد أن عين الوزراء قام بترتيب مجلس للشورى الذي كونه من إحدى عشر عضوا من العلماء والأجلاء[5]، فقام بتعيين رئيس له هو العلامة قاضي القضاة السيد "أحمد بن الهاشمي المراحي"[6].

لا يوجد من هذا النوع من المؤسسات سوى نوع واحد وهو مجلس الشوري المركزي ومجلس الشورى في المقاطعات الذي يتولى الأمير تعيين أعضائه الإحدى عشر بالنسبة لمجلس الشورى المركزي وخلفائه بالنسبة لمجلس المقاطعة وصلاحياته تتمثل في مساعدة

(1) الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تعليق داووه بخاري، رابح قادري، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2012م، ص 195.

(2) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 21.

(3) عثمان بشوب، الثقافة، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، عدد 75، منشورات السهل، الجزائر، 1983م، ص 247.

(4) محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2005م، ص 34.

(5) المرجع نفسه، ص 34.

(6) عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر،2013 م ، ص480.

الإدارة المركزية وإدارة المقاطعات مع القيام بمهامها، وذلك وفق لما تنص عليه الشريعة الإسلامية، فمهمة هذه المجالس هي مهمة استثنائية أكثر مما هي تشريعية وتوجيهية[1].

فتلك الإدارة التي أقامها الأمير تستجيب مختلف الاحتياجات ..... ومن هنا يتبين لنا أن إدارة تلك المقاطعات هي عبارة عن إدارة شبه عسكرية فكل الأعوان الإداريين هم عبارة عن قواد لوحدات المتطوعين عند التعبئة، كما أنها تجمع بين المركزية واللامركزية وهذا ما أدى إلى مرونتها وفعاليتها الكبيرة[2].

- **قسم المقاطعات إداريا:**

قسمت إلى 8 مقاطعات إدارية مع رأس كل مقاطعة موظف سامي يدعى الخليفة وقد أنشأت حسب التسلسل على النحو التالي:[3]

- **مقاطعة معسكر:** في البداية عين على رأسها "محمد بن فريحة المهاجي" ثم تولى الحاج "مصطفى بن أحمد التهامي" مركزه بعد وفاته، مركزها مدينة معسكر التى هي في نفس الوقت عاصمة الدولة.
- **مقاطعة تلمسان:** عين على رأسها "الخليفة محمد البوحميدي" ومركزها مدينة تلمسان.
- **مقاطعة مليانة:** عين على رأسها الخليفة "محي الدين بن علال" و"بوفانة" خلفه "محمد بن علال" ومركز المقاطعة الإداري مدينة مليانة.
- **مقاطعة المدية:** عين على رأسها في بداية الأمر "مصطفى بن محي الدين" أخو الأمير ثم خليفة بعد ذلك "محمد بن عيسى البركاني" ومقر المقاطعة مدينة المدية.
- **مقاطعة مجانة:** عين على رأسها "محمد عبد السلام المقراني" ثم "محمد بن الخروبي" القاضي ثم "محمد بن عمر العيسوي" ومركزها مجانة ثم سطيف.

(1) جمال قنان، دراسات في المقاومة والاستعمار، المؤسسة الوطنية، رويبة ، [د.س ن]، ص 89.

(2) محمد السعيد قاصري، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830- 1962م)، دار الإرشاد، الجزائر، 2013م، ص17.

(3) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص21.

- **مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية:** عين على رأسها بادئ الأمر "فرحات بن السعيد" ثم تولى عليها الخلفاء، مركزها الإداري "مدينة بسكرة".
- **مقاطعة الأغواط والصحراء الغربية:** عين على رأسها "قدور بن عبد الباقي".

ولم يكتف ذلك بل قسم كل مقاطعة إلى دوائر على رأس كل دائرة آغا وكل دائرة تتكون من عدة قبائل، وكل قبيلة تحتوي على بطون وعشائر، وجعل في كل قبيلة قائد وعلى كل عشيرة شيخا وكانت أوامر الأمير تصدر إلى الخلفاء وعن طريقهم تصدر إلى الأغوات ومن خلال الأغوات تصدر إلى القواد ومنهم إلى المشايخ[1].

وعند تأسيسه للدولة الجزائرية قام الأمير عبد القادر بتحديد الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها وهي:[2]

- نشر الأمن وتأديب الخونة والعصاة.
- توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد.
- مقاومة الفرنسين بكل الوسائل.
- دفع الفرنسيين إلى الاعتراف بالجزائر كدولة وبعبد القادر أميرا للبلاد .

2. النظام العسكري:

في هذا الجانب أدرك الأمير عبد القادر منذ البداية أن مواجهة العدو لن تتم إلا بوجود جيش منظم، مواظب، قوي[3]، وبعد مشاورة المجلس أصدر بلاغا للمواطنين جاء فيه: "يبلغ الشاهد الغائب أنه صدر أمرا مواطنا ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر في البلاد كافة فمن أراد أن يدخل تحت اللواء المحمدي ويشمله هذا النظام فيسارع إلى الإمارة (مدينة معسكر) لتسجيل اسمه في الدفاتر "الأميرية"، فاستجابت له

(1) محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 17.

(2) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م, ص 110.

(3) محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والصمود، موفم للنشر، الجزائر، 2009م، ص 57.

القبائل والتف الجميع حوله، بعدها قام بالإشراف بنفسه على الترتيبات الأولى لتنظيم الجيش وحيث قسمه إلى ثلاثة أقسام:[1]

أ. **الخيالة (سلاح الفرسان):**

فتنظيم سلاح الفرسان هو عبارة عن تنظيم أولي بسط يرتكز بالأساس على عملية تشكيل وحدة قتالية أساسية قائمة بذاتها ومكونة من خمسين فارسا (سرية) تكون تحت قيادة ضابط يسمى "سياف الخيالة" والرتبة الأعلى لهذا السلاح هي رتبة قائد "الاستعداد" أي رئيس الخيالة، ثم يلحقه مدرب الخيالة وهو بمثابة مدرب العسكر[2]، فهيكلة ترتيب الفرسان قائمة على مستوى الضباط وليس فيها رتبة لصف الضباط وهي مبنية على ثلاث مستويات رتبتين بقيادة "سياف الخيالة" و"رئيس الخيالة" ورتبة خدمة وهي رتبة مدرب الفرسان[3].

ب. **استعداد الطبجية أي سلاح المدفعية:**

مدفعية الأمير كانت تتألف من أربعة قطع ثلاثة منها كانت منصوبة على ركائز سيئة وبعجلات ممتلئة لكن رابعة كانت مركبة على الطريقة الأوروبية "ديبون" محافظ المصاهر الملكية في "روتشنور" وعلى أخرى وليام هيفوارت سنة 1620م، والوحدة القتالية الأساسية لهذا السلاح تقوم على قطعة المدفع الواحد[4] الذي يخدم اثني عشرة جنديا وهم تحت قيادة رئيس المدفع، وعند عملية القتال يقوم الطاقم بالانقسام إلى مجموعتين ستة منهم يقومون بخدمة الدفع، والستة الآخرين يستريحون وهم كذلك تحت قيادة رئيس المدفع[5]، أعلى رتبة

(1) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 22.

(2) جمال قنان، دراسات في المقاومة، المرجع السابق، ص 49.

(3) خيثر عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830– 1954م)، المطبعة الرسمية، [د.م ن]، 2007م، ص 340.

(4) أدريان بيرجروجير، مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1834– 1838م)، تر: ابو القاسم سعد الله، ط2، دار غرناطة، الجزائر،2010م، ص 78.

(5) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 23.

بها هي رتبة "باش الطبجي" بمعنى رئيس المدفعية ويلحق به معلم الطبجية بمعنى مدرب المدفعية ووضعه يماثل وضع مدرب الفرسان، ومدرب العسكر[1].

ج. **المشاة (العسكر):**

يتشكل جيش المشاة من كتائب عدة يرأسها "آغا" بحيث تضم كل كتيبة مئة مجاهد يرأسهم قائد يلقب بالسياف[2]، وتتشكل كل كتيبة من ثلاث وحدات:[3]

1. الوحدة الصغرى: يسمى الصف أو الخبأ، تتكون من واحد وثلاثين جنديا يضاف إليهم رئيس الصف ونائبه.
2. المائة: تشمل ثلاثة صفوف، تحت قيادة الضابط "السياف" ويقوم بمساعدته كاتب المائة.
3. المحلية: تتشكل من مجموع وحدات المائة التي قد يصل إلى بضع عشرة وحدة فهي تمثل وحدة قتالية مستقلة ومتكاملة وليس هناك وحدة أعلى فوقها، يقوم بقيادتها رئيس العسكر ويدعى الآغا.

كما قام بتشييد عدة حصون منها[4]:

- حصن سعيدة.
- حصن سبدو في الجهة الغربية.
- حصن تاكمدت الشهير في الجهة الجنوبية والشرقية.
- حصن بوغار.
- حصون سبأ وعريب وبوخرشفة وطازة.

(1) جمال قنان، دراسات في المقاومة، المرجع السابق، ص 46.

(2) خالد عمر بن قفه، المؤسسة العسكرية الجزائرية والشرعية، دار الشروق، القبة، 2000م، ص 139.

(3) مصطفى ابن التوهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح : يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 135.

(4) بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، دار المعرفة، الجزائر، 2008م، ص 32.

كانت هذه الحصون والقلاع مسيرة وفق نظام عسكري يلزم الضباط بأن يعيشوا في الداخل مع جنودهم بحيث يأمر القانون العسكري أن يختار الضباط بدقة مع عملية خضوعهم لفحوصات قبل تسليم مختلف المهام في هذه المراكز، كما تم تحديد مواصفات خاصة بهم منها الحث على الانضباط والشجاعة والبنية الصحيحة، منحدر من أشرة معروفة، غير مرفق بسوابق خارج نطاق القانون والدولة، متدينا متخلقا بالأخلاق المحمدية ...الخ[1].

كانت غاية الأمير عبد القادر تتجه نحو امتلاك جيش قوي له وحده مستقلة عن أي سلطة غير سلطته[2] وتكوين حكومة حقيقية في وقت قصير حيث كانت تلك الحكومة ثمرة نصائح والده وكذا استفادته من إدارة محمد علي لمصر من خلال فترة أدائه فريضة الحج، كما كانت نتيجة ثمرة خصاله وشخصيته وإيمانه القوي بمهمته المقدسة وشجاعته في ميدان القتال وصرامته التي لا تلين في ممارسة السلطة وقراره الصائب في اختيار ممثليه خاصة بأن نظام حكومته مختلف تماما عن نظام الأتراك حيث جعل على حكم الجماهير العربية القبائلية تحت سلطته المباشرة بعد اختيار قادة لها ترضى عنها تلك القبائل[3].

المبحث الثاني: مراحل مقاومة الأمير عبد القادر:

يعتبر الأمير عبد القادر زعيم المقاومة المسلحة ضد الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م من الذين قادوا المقاومة[4]، حيث مرت مقاومته بثلاث مراحل امتدت من سنة 1832م إلى غاية 1848م وهي:

(1) بديعة الحسني ، المرجع السابق ، ص 35.

(2) الكسي دوطو كفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص 42.

(3) Peal azan , l' emir abdelkader (1808_1883)de fanatisme musulman au patriotime francais ,hachette paris 1925,p 128.

(4) عبد القادر خليفي، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830- 1962م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010م، ص 14.

أولا: مرحلة الإنطلاق والقوة (1832– 1837م):

كانت المبادرة العسكرية والتفوق العسكري على الأرض غالبا لصالح قوات الأمير عبد القادر في هذه المرحلة، حيث توجت بإبرام معاهدة التافنة التي اعترف من خلالها الفرنسيون بدولة الأمير وقد تمكن هذا الأخير في هذه المرحلة من:

- بسط نفوذه على سائر القبائل وإخضاعها وذلك حتى يتمكن من مواجهة الفرنسيين بجبهة قوية صلبة متماسكة[1].
- الإتخاذ من مدينة معسكر عاصمة له، والإستلاء على ميناء أرزيو[2].
- الإعتماد على مبدأ حرب العصابات[3].
- بناء جيش نظامي يتألف من ثلاثة أصناف المشاة، الفرسان، المدفعية[4].
- توحيد اللباس وإصدار الأوامر والقوانين العسكرية الدالة على الانضباط والصرامة في المؤسسة العسكرية [5].
- وضع سلم تسلسلي للرتب العسكرية على النحو التالي: رقيب، رئيس الصف، السياف، الآغا[6].
- قسم الوحدات الأساسية في الجيش النظامي إلى كتائب تضم الواحدة مائة جندي[7].
- وسع دائرة نفوذه إلى انحاء أخرى من الوطن شملت جزاء كبيرا من إقليم تلمسان، مليانة، التيطري (المدية)[8].

(1) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 17.

(2) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 165.

(3) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 289.

(4) محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 57.

(5) الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري المتوفي 1355هـ، المواقف الروحية والفيوضات السيوحية، تع : عاصم إبراهيم الكالي الحسيني الشاذلي للدرقاوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص 10.

(6) خالد عمر بن قفه، المرجع السابق، ص 139.

(7) المرجع نفسه، ص 139.

(8) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 174.

- إبرام معاهدة مع الجنرال دي ميشال (Desmichels) في 26 فيفري 1834م[1]، حيث اتفق كل من الجنرال دي ميشال (Desmichels) قائد الجيوش الفرنسية والأمير عبد القادر ممثل الدولة الجزائرية على الموافقة على الصلح وأن مرحلة السلم والمدنية كانت فرصة من أجل انطلاقة جديدة[2]، تنص على نهاية الحرب واحترام الإسلام والأعراف الإسلامية وتحرير المساجين، وحرية التجارة وضرورة الرخص للفرنسيين لكي يستطيعون التنقل[3]، إلا أن هذه المعاهدة كانت محل نقاش لدى الأوساط الحاكمة في فرنسا خاصة البرلمان وضباط الجيش ومن الذين نشطوا ضدها وأبدوا معارضتهم لها الجنرال تريزيل (Trezele) الذي كان يتتبع خطوات الأمير[4]، حيث جاء إلى وهران من أجل تقديم دروس القوة وفرض نفسه وسلطته فقام بالهجوم على الأمير في وادي المقطع عام 1835م لكنه انهزم هناك وعاد من وهران تاركا وراءه الكثير من القتلى والجرحى والأسرى، فرأى تريزيل (trezele) أن يشجع أعداء الأمير بعقد اتفاق مع مصطفى بن إسماعيل أو الدوائر والزمالة وهو الاتفاق المعروف بإتفاق الكرمة التي تجعل هذا المخزن تحت حماية الفرنسيين[5] لكن نجد أن لمعركة وادي المقطع دور فعال خاصة بعدما تكبدت القوات الفرنسية فيها بخسائر كبيرة أدت غلى نتائج وخيمة[6]:

- عزل الحاكم العام دترنون (Détronon) والجنرال تريزيل (Trezele)

---

(1) يوسف مناصرية، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1962م)، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص 32.

(2) A bellemare, abdelkader ,sa vie politique er militaire edition bouchene alger , sam dat ,p 37 .

(3) محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر(1830- 1954م)، تر: محمد المعراجي، وزارة المجاهدين، [د.م ن]، 2008م، ص 60.

(4) محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى الثورة النوفمبرية 1954م، دار البحث، الجزائر، 1985م، ص 39.

(5) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 176.

(6) عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص 71.

- تعيين المريشال كلوزيل (clousel) حاكما عاما على والجزائر في جويلية 1935م.

أراد الماريشال كلوزيل (clousel) أن يمحو عار الهزيمة التي تعرضت إليها القوات الفرنسية في معركة وادي المقطع 1835م من خلال إبراز قوة المستعمر، فتوجه إلى وهران قام فيها بعرض قوات جيشه أمام الحاضرين من نساء وأطفال ... ثم توجه حينها إلى ميناء راشقون وقام باحتلاله باعتباره كان منفذ الأمير التجاري، ثم اتجه إلى مخزن "مصطفى بن اسماعيل" وانصار إبراهيم بوشناق إلى معسكر فدخلها يوم السادس من ديسمبر 1835م لكن الأمير قد أخلاها قبل وصول العدو فانتقم من الأمير ورجاله بإشعال النيران فيها[1].

فتوجه إلى تلمسان لكن جيوش الأمير بقيت تسيطر على الطريق بينها وبين وهران، فأصبح بذلك الجيش الفرنسي محاصرا داخل أسوار المدينة، ونتيجة لذلك قام الجنرال بيجو (Peugeot) بقيادة حملة عسكرية كبيرة من أجل رفع الحصار على الجيش الفرنسي، حيث حقق من خلالها انتصارا كبيرا في موقعة "واد السكاك" 1836م[2]، إلا أنه فضل مهادنة الأمير مؤقتا انتهت بتوقيع معاهدة "وادي التافنة" يوم 30 ماي 1837م، التي تعتبر انتصارا دبلوماسيا لعبد القادر فقد أرجعت الأمير أكثر قوة من أي انتصار[3]. خاصة عندما استغل هذه المعاهدة لتثبيت أركان الحكومة الجزائرية التي كان ببنيها[4].

فكان توقيع معاهدة التافنة في نظر الفرنسيين يهدف إلى : [5]

- التفرغ للقضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري.
- اعداد فرق عسكرية خاصة بحرب الجبال.
- فك الحصار على المراكز الفرنسية.
- انتظار وصول التموينات والامدادات العسكرية من فرنسا.

(1) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 177.

(2) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 18.

(3) محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 62.

(4) جلال يحي، تاريخ العرب الحديث، شركة الإسكندرية، الإسكندرية، [د.س.ن]، ص 100.

(5) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 18.

ثانيا: مرحلة الهدوء المؤقت: (1837- 1839م) :

استغل الامير عبد القادر معاهدة التافنة الموقعة مع العدو لتنظيم الدولة[1]، وبناء المؤسسات[2]، والعمل من أجل حسن تنظيمها وتدوين دواوينها وضبط أمورها، وصك نقودها، والعمل على ربط علاقات متينة مع الخارج[3].

كذلك استطاع الأمير في هذه المرحلة من تأسيس دولته وتوسيع مجالها حتى شملت كل الغرب (باستثناء وهران ومستغانم وآرزيو) والوسط (العاصمة ومحيطها) والجنوب القسنطيني أي الأوراس والزيبان، وامتدت جنوبا إلى شمال الصحراء، وفي مقابل هذا قام الغزاة باحتلال قسنطينة وجيجل وسطيف وغيرها، ولم يحرك الأمير ساكنا، مما سيمكنهم من التفرغ لقتاله لاحقا بفعالية أكبر[4]، ومن أجل تعزيز قواته العسكرية وتنظيم البلاد قام بوضع اصلاحات إدارية وتنظيمات عسكرية وهي كالآتي:[5]

1-تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم عدة أعضاء هم: رئيس الوزراء، نائب الرئيس، وزير الخارجية، وزير الخزينة الخاصة، وزير الأوقاف، وزير الأعشار، الزكاة، الوزراء الكتيبة، وهم ثلاثة حسب الحاجة واتخذت هذه الوزارة من مدينة معسكر عاصمة لها.

2-تأسيس مجلس الشورى الأميري ويتكون من 11 عضوا يمثلون مناطق مختلفة.

3-تقسيم البلاد إلى ثماني ولايات وكل ولاية يحكمها خليفة، قسم كل ولاية إلى عدة دوائر، ووضع على كل دائرة قائدا يدعى الأغا وتضم الدائرة عددا من القبائل يحكمها قائد، ويتبع القائد مسؤول إداري يحمل لقب شيخ.

4-تنظيم الميزانية وفق مبدأ الزكاة وفرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد.

---

(1) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير (1830- 1962م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م، ص 32.

(2) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 159.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، [د.م.ن]، 2001م، ص 86.

(4) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 82.

(5) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 19.

5-تدعيم القوة العسكرية بإقامة ورشات للأسلحة والذخيرة وبناء الحصون على مشارف الصحراء.

6-تصميم علم وطني وشعار رسمي للدولة.

7-ربط علاقات دبلوماسية مع بعض الدول.

هكذا أسس الأمير عبد القادر دولته القوية الفتية، ووضع لها أساسا متينا وقويا في مدة قصيرة لم تتجاوز أكثر من عامين من عمرها، وذلك ضاعف من مخاوف الفرنسيين فأسرعوا إلى نقض المعاهدة التي أبرموها معه، وأجبروه على العودة إلى الحرب حتى لا يتمكن من مواصلة البناء وتدعيم دولته وأجهزتها، وقد أدرك غايتهم، وبذل جهده من أجل التجنب الوقوع في الحرب، ولكن أعضاء مجلس الشورى الأميري عارضوه وأصروا على الحرب، ولم يكن ذلك في صالح القضية الوطنية كما سنرى[1].

ثالثا: مرحلة الضعف (1839- 1847م):

تعتبر هذه المرحلة من أطول المراحل وأقساها بالنسبة لجهاد الأمير عبد القادر لأنه تعرض من خلالها لعدة أحداث ومشاكل خطيرة، وكذلك صعوبات داخلية وخارجية على امتداد ثماني سنوات كاملة[2].

وقد حاول الأمير طيلة سنوات (1839- 1841م) الإبقاء على المعاهدة، لكن الفرنسيين كانوا على عدم احترام روح معاهدة التافنة، وذلك بتفسيرهم بنودها حسب مصلحتهم التي تخدمهم[3]، وكذلك كانوا مصممين على نقضها، ومن أهم المحاولات التي قام بها الأمير عبد القادر إرسال وفد برئاسة وزيره للخارجية المولود بن عراش إلى الملك الفرنسي لويس فليب (louis phelippe) طالبا تدخله الشخصي من أجل وقف خرق المعاهدة من

(1) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا ...، المرجع السابق، ص 157.

(2) المرجع نفسه ، ص 157.

(3) ناصر الدين سعدوني، المرجع السابق، ص 159.

قبل ممثليه في الجزائر[1]، وعند خرق الفرنسيون هذه المعاهدة وخولوا أنفسهم حق العبور عبر المناطق التابعة للأمير عبد القادر شرق وادي قدارة وعبر أقاليم حمزة البيبان[2]، وتبعا لهذا الموقف اضطر الأمير إلى إعلان الجهاد ضد الفرنسيين، وفي السادس من شهر ديسمبر عام 1839م، عقد اجتماعا طارئا بمعسكر أبي خرشفة بنواحي مليانة دعا إليه كبار زعماء القبائل وجميع قواد دولته وولاة مملكته ووزراءه وقادة الجيش[3].

وعندما اجتمع مجلس الأمير بعد خرق الفرنسيين للمعاهدة قرر هذا المجلس بالإجماع الرد على الإعتداء وأصدر بيانا: "إن الفرنسيين المعتدين على البلاد الإسلامية بعد ما عدناهم وسالمناهم، نكثوا وجالوا في بلادنا وعاشوا ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن المعلوم أن التهاون في مثل هذا الأمر والأعضاء عنه يزيدهم اعتداءا علينا، لذلك اجتمعنا في مجلس عال بحضور سيدنا المعظم ومولانا المفخم ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين نصر الله، لأجل المذاكرة في هذا الأمر المهم والخطب الملم فوقفنا الله تعالى جل جلاله للجواب وألهمنا جادة الصواب واتفقت كلمتنا على إعلان الجهاد والقيام بواجبه على حمل استعداد، وقد بايعنا حضرة أميرنا على الوفاء بواجبات الجهاد الشريعة وعقدنا على الصدق في ذلك النية حررنا هذا الصك ليكون شاهدا علينا فيما ذكرناه ومن الله نستمد العناية وهو ولي الهداية"[4].

وكذلك كان رد الجمع بهذه العبارة: "إن الموت أهون من العار ومن هدم أساس شرفنا ... والآن وقد تجاوزوا (الفرنسيون) حدودا ارتضوها وجرى الصلح عليها فلابد وأن يكونوا قد قصروا باعتدائهم هذا أن يستولوا على بلادنا ويستعبدونا ودون ذلك بدل أموالنا وأرواحنا"[5].

(1) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر... ، المصدر السابق، ص 34.

(2) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 159.

(3) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 455.

(4) محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 45.

(5) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 159

وبعد هذا الاجتماع بادر الأمير عبد القادر من مقر إقامته بالمدية بمراسلة الماريشال فالي (Valee) في 18 من نوفمبر 1839م محملا الفرنسيين مسؤولية خرق المعاهدة وتسببهم في إشعال الحرب بقوله: "بينما كنا معكم في حال سلم ومعاهدة فلم نشعر غلا وقد فعلتم ما يناف ذلك وتجاوزتم الحدود المعلومة بين بلادنا وبلادكم بغير إذني ولا تقدم مخابرة في ذلك ولا علم ... والحال إن فعلكم هذا هو نفسه ناقض للمعاهدة مبطل لها وبناء عليه أعلن لكم أنني على استئناف الحرب وبالله المستعان فارفعوا وكلائكم من بلادي وانذروا قومكم المقيمين فيها والمسؤولية عليكم وحدكم"[1].

ولقد هاجم الجزائريون بقيادة الخليفة "ابن سالم" العدو بمتيجة في أواخر رمضان 1255هـ/أواخر نوفمبر 1839م، وتوالت الهجمات في أنحاء مختلفة من البلاد، وفي البداية مالت الكفة لصالح الجزائريين، وهذا أثار غضب الفرنسيين وأحدث ضجة كبيرة في فرنسا وبهذا انقسم النظام الفرنسي إلى ثلاث فئات هم:[2].

- الأولى طالبت بالعودة إلى سياسة الإحتلال المحدود.
- الثانية دعت إلى الإنسحاب من الجزائر.
- الثالثة دعت إلى الإحتلال الكامل، تزعمها "تيير" (Thiers) رئيس الوزراء الجديد المعين في 1 مارس 1840م، ووزير حربية الماريشال سولت (sel) اللذين أعلنا عزمهما على توفير الإمكانيات لفصل المعركة وتوسيع نطاق الاحتلال.

وبعد تعيين الماريشال سولت (sel) رئيسا للحكومة للمرة الثالثة في 29 أكتوبر 1840م، قام بعزل الماريشال فالي (Valee) بعد اتفاق من الحكومة الفرنسية والجنيرالات، وقاموا بتعيين بدله الماريشال بيجو(Peugeot) وهو نفسه الذي كان قد وقع معادة التافنة مع

(1) ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق , ص 159.

(2) بشير بلاح, المرجع السابق، ص 89.

الأمير، ولكنه جاء هذه المرة متحمسا للحرب اللامحدودة ومناديا باستعمال كل الوسائل تحت عطاء "بالأرض المحروقة" للقضاء على مقاومة الأمير[1].

كما قامت الحكومة الفرنسية بمنح الماريشال بيجو(Peugeot) زيادة في عدد الجيش وفي الميزانية حسب طلبه بينما هو وعد بالقضاء على المقاومة وترسيخ الاحتلال وتشجيع الإستعمار من أجل التحكم والتسلط[2].

وللتغلب على الأمير وضع الماريشال بيجو(Peugeot) خطة قامت على الأسس التالي: [3].

- شن هجمات سريعة ومتتالية على القبائل الموالية للأمير للتنكيل بها وسلب مواشيها وهي عماد حياتها.
- إغلاق الحدود في وجه تلك القبائل لمنعها من اللجوء إلى المغرب ومن تلقي المساعدات والأسلحة منه.
- استحداث طوابير خفيفة التسليح سريعة الحركة لملاحقة قوات الأمير.
- تخصيص قوات كبيرة لشن حرب شاملة على المناطق التلية الخاضعة لسلطة الأمير لأخذ مدنها وتدمير حصونها وقراها ومحاصيلها الزراعية وإبادة سكانها أي التطبيق والإعتماد على ما يعرف بـ سياسة الأرض المحروقة من لا يبق لهم مرتزق يعشون منه[4].

وبتطبيق هذه الخطة نتج عنها احتلال المدية من قبل الغزاة عام 1840م وتاكدمت وسعيدة ومعسكر عام 1841م، ثم تلمسان في فاتح فبراير 1842م[5].

(1) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 34.

(2) المصدر نفسه، ص 34.

(3) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 90.

(4) محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، 1965م، ص 199.

(5) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 158.

وبهذا اضطر الأمير أن يكون عاصمة متنقلة من الخيام سماها "الزمالة" ضمت نحو 30.000 نسمة مع مرافقهم من مدارس ومكتبات ومساجد وورشات ومستودعات، يحرسها نحو 5000 جندي نظامي وانسحب بها على الهضاب العليا ومشارف أطلس الصحراء[1].

وفي 16 ماي 1843م فاجأ الفرنسيون هذه الزمالة في غيابه، وذلك أن طريق تتبع الأخبار بواسطة الجواسيس حتى عرفوا مكانها في (السرسو) بناحية الونشريس" واستولوا عليها عام 1843م[2]، وأسروا ثلاثة آلاف شخص زيادة على المؤن والذخائر، فكان سقوط الزمالة ضربة قاسية على المقاومة وكان في الواقع بداية التراجع السريع لسلطة الأمير[3].

وبعد سقوط العاصمة المتنقلة "الزمالة" 16 ماي 1843م أدت إلى تناقص عدد جيش الأمير إلى ألفي فارس وعشرة آلاف من المشاة[4]، ومع استمرار الضغط الفرنسي وإضاعة معظم الإمكانيات الحربية والموارد المالية المتبقية لدولة الأمير والتي على إثرها عقد مساعده الأيمن وخليفته على مليانة، القائد البطل "ابن علال" ومئات الشهداء الذين سقطوا معه في معركة جرت يوم 11 نوفمبر 1843م، فاشتد عليه تأزم الأمر[5].

اضطر الأمير بعد ذلك ونتيجة لوقوعه تحت وطأة المطاردة الفرنسية إلى الإنسحاب مع أنصاره عام 1843م، داخل المغرب لتضميد الجراح واسترجاع القوى[6]، حيث تمركز الأمير في عين زورة بجبال الريف قرب ساحل البحر وكان يأمل بتحقيق ثلاث أمور[7].

أولا : الحصول على الدعم والمؤونة من المغاربة لمواصلة الجهاد.

ثانيا: إدخال الإطمئنان لنفوس أتباعه والمؤيدين لجهاده.

ثالثا: تأمين دائرته عندما يعود إلى الجزائر لمواصلة الجهاد.

---

(1) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 90.

(2) رابح لونيسي وآخرون، رجال لهم تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 40.

(3) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، المصدر السابق، ص 35.

(4) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 167.

(5) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 91.

(6) رابح لونيسي وآخرون، المرجع السابق، ص 40

(7) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 158.

لكن الفرنسيين شعروا بالإنزعاج أنه مادام الأمير يلجأ داخل المغرب فلن تنتهي المقاومة فبذلك قام الفرنسيين بالضغط على المغرب[1]. من أجل إبعاده أو مواجهة الحرب وبذلك كانت الحرب هي الحل، حيث إلتقى الجيش المغربي والفرنسي على واد إيسلي،[2] وقامت فرنسا بالضغط على سلطان المغرب عسكريا عام 1844م، وإحتلت قواتها مدينة وجدة[3]، وعلى إثرها قصف الأسطول الفرنسي مدينة طنجة والصويرة هذا الأمر الذي جعله يعود على الجزائر في سبتمبر 1845م[4]، محاولا تنظيم المقاومة من خلال تحديد نشاطه العسكري حيث تمكن في خريف من نفس السنة من إعتقال وأسر ما يزيد عن 600 جندي فرنسي في معركة "سيدي إبراهيم" أما الغزوات ومعركة عين تيموشنت وهنا لم يبقى أمام الفرنسيين سوى تطبيق الأرض المحروقة والقتل الجماعي للسكان[5].

وبعد تطبيق هذه السياسة المجحفة فقد الأمير أبرز أعوانه وبذلك فكر مرة ثانية في عبور الحدود مرة أخرى، إلا أن السلطان المغربي تحت التهديد الفرنسي أرغمه على مغادرة البلاد، واشتداد الحصار عليه[6]، وهنا يمكن القول أن معاهدة فرنسا و المغرب ضد الأمير كانت هي النكبة الثانية في مقاومة الأمير عبد القادر[7].

ومع حلول عام 1847م حل القضاء وكثرت المصائب وتأزم الوضع أكثر فأكثر[8] وبات الوضع واضحا أن المقاومة بدأت تختنق وتتراجع بسبب الضغط والحصار الشديد الذي كان حولها من طرف جيش الاحتلال الفرنسي شرقا بقيادة الجنرال لاموريسار

(1) عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص 72.
(2) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، المصدر السابق، ص 36.
(3) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 158.
(4) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 19.
(5) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا ....، المرجع السابق، ص 158.
(6) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 19.
(7) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، المصدر السابق، ص 36.
(8) مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، ج1، [د.د ن]، [د.م ن]، [د.س ن]، ص 361.

(Lamorissar) والقوات المغاربية غربا، حيث قام المخزن المغربي بمجازر رهيبة ضد أتباع الأمير من بني عامر[1].

وبعد خوض عدة معارك رهيبة خلال شهور أكتوبر ونوفمبر وديسمبر 1847م، وكان الأمير أجرى اتصالات مع الحكومة الإسبانية من أجل طلب منها المساعدة بالتدخل لدى فرنسا من أجل إجراء مفاوضات للصلح، وتزويدها بالأسلحة والذخائر، ولكن لم يحصل على أي إستجابة منها[2]، وعلى إثر هذا قرر الأمير أن يجنب أتباعه الاستئصال والهوان، والتسليم للسلطات الفرنسية التي خذلته وخلفت العهود، بل للفرنسيين الذين قاموا بمحاربيه كأعداء طبيعيين، فاتصل بـ لامورِيسار (Lamorissar) في 14 محرم 1264هـ/22 ديسمبر 1847م واتفقا على شروط وفق القتال[3]. والسماح له ولرفاقه الذهاب إلى عكا أو الإسكندرية[4].

سلم الأمير نفسه في "سيدي إبراهيم" قرب ميناء الغزوات يوم 23 ديسمبر 1847م، على أن ينقلوه إلى عكا أو الإسكندرية لكنهم أوهموا به ونقلوه إلى طولون ثم مدينة بو وأخيرا إلى قلعة أَمْبْوَازْ بأُورْلِيَانْ حيث وضع في السجن لمدة "أربع سنوات ونصفا"، ثم أطلق سراحه وسمح له بالاتجاه إلى المشرق، فاختار دمشق منفى له[5]، وقضى بها بقية حياته حتى التحقا بربه في منتصف ليلة 19 رجب 1300هـ الموافق لـ 24 ماي 1883م عن عمر يناهز 76 عاما ودفن بجوار الشيخ الصوفي الشهير محي الدين بن عربي في الصالحية بدمشق[6]، ثم أعيد دفنه في مقبرة العليا بالجزائر بعد استقلالها.

(1) يحي بوعزيز موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 159.
(2) المرجع نفسه ، ص 159.
(3) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 95.
(4) أحمد كمال الجزار، المرجع السابق، ص 32.
(5) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا....، المرجع السابق، ص 159.
(6) محمد الصالح بجاوي، الأمير عبد القادر الجزائري ... ، المرجع السابق، ص 5.

الفصل الثاني:

مقاومة الحاج أحمد باي

المبحث الأول: التعريف بشخصية أحمد باي

المبحث الثاني: مراحل مقاومة الحاج أحمد باي

يعتبر الحاج أحمد باي من الشخصيات الجزائرية، القوية التي حكمت بايلك قسنطينة والذي كان له دور كبير في قيادة المقاومة الشعبية في الشرق الجزائري.

المبحث الأول: التعريف بشخصية أحمد باي :

أولا: نسبه ومولده:

نسبه: هو أحمد بن محمد الشريف بن احمد القلي[1]، وهو باي شهير لقب بالقلي لأنه مكث مدة طويلة آغا على منطقة القل في أقصى الشرق الجزائري، أمه رقية ابنة الحاج بن قانة الملقبة بالشريفة لإدعاء والدها محاد بن علي بن سليمان المعروف بالحاج ابن قانة الشرّف حيث أنه كان أميرا على ركب حجاج الشرف[2]، فهي من عائلة ذات نفوذ بمنطقة بسكرة التي يعود أصلها إلى نواحي ميلة شمال قسنطينة، فهو كرغلي من أب تركي وأم جزائرية[3]، فبحكم تربيته العربية الأصيلة وانتمائه إلى الأرض التي ترعرع فيها وبحكم انتمائه إلى أمه وإلى الأصول العربية ينبغي علينا أن نؤكد أن على أنه عربي بحكم انتمائه الحضاري، فالحاج أحمد باي لم تكن له جنسية ولا دين ولا لغة ولا تقاليد ولا عادات وأخلاق غير جنسية الجزائريين ولغتهم ودينهم وتقاليدهم وأخلاقهم فلغة هذه الأرض أرضعته قواعدها، فنظم حبه لها لأنها لغة القرآن الكريم وتقاليد وعادات وأخلاق هذا الشعب التي ينتمي إليه حضاريا، فالحاج أحمد باي حامل الإسم العربي الجزائري المسلم[4]، كان والده شاغل وظيفة إدارية في حكومة الداي وتولى جده أحمد القلي منصب باي قسنطينة ابتداء من 1755م إلى سنة 1771م[5].

(1) بشير بلاح، المرجع السابق، ص113.

(2) محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830 ـ 1930م)، دار السبيل، الجزائر، 2009م، ص62.

(3) عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ص276.

(4) بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة ومقاوم (1830 ـ 1848م)، دار الحكمة، الجزائر، 2009م، ص58.

(5) بشير بلاح، المرجع السابق، ص113.

مولده: أما بالنسبة إلى مولده فقد تضاربت التواريخ حوله رغم تقارب بعضها فحسب "بوعزة بوضرساية" فإن مولد أحمد باي المؤكد في مذكراته يعود إلى سنة 1786م، حيث قال: «وفي بحثنا عن حياة هذه الشخصية الكبيرة عثرنا على وثيقة فرنسية تبين لنا تاريخ ولادته إذ جاء فيها ما يلي: "آخر هؤلاء الكبار الشيخ أحمد باي الذي نعرف عنه ثورته الكبيرة هو ابن محمد الشريف وحفيد أحمد باي التركي الذي حكم قسنطينة عام 1754م، أمه تدعى الحاجة غنية" إبنة بن قانة وهي من عائلة صحراوية معروفة ولا تزال على قيد الحياة بجانبه وحاليا يبلغ أحد باي خمس وخمسون عاما»[1].

وقد أكد كذلك تاريخ مولده "محمد العربي الزبيري" في كتابه مذكرات أحمد باي بأنه ولد عام 1786م فهو ذلك الرجل الذي وهب حياته لهذا الوطن ولا يعرف وطنا سواه[2]، احتضنته مدينة قسنطينة بدار والديه التي كانت تعرف آنذاك بـ "دار أم النون" والتي كانت تقع جنوب غرب القصر الحالي في موقع النادي العسكري حاليا[3]، فمنذ ظهور الحاج أحمد بايلك قسنطينة منذ ميلاده، جعل الحزب التركي يتخوف من العواقب التي قد تنجم عن هذا الظهور ولم يتجزأ الأتراك في طلب الإذن بالتضحية به من قبل داي الجزائر غير أن والدته كانت متعلقة به أشد التعلق عندما علمت بالأمر اخفت ابنها في جلد نمر وحملته على كتفيها ثم خرجت به من قسنطينة من باب القنطرة الأصلي الذي يبعد عن قسنطينة 50 ميلا أدى بالصحراء بين أحضان ابن قانة هناك قامت بتربيته وسط القبائل[4]، خوفا من مصير شبيه بمصير أبيه الذي كان خليفة الباي حسن[5].

(1) بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص58.

(2) محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص06.

(3) الطاهر رجال، الحاج أحمد باي وقصره، منشورات الرجاء، الجزائر، 2016م، ص15.

(4) صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826- 1850م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص21.

(5) عزي بوخالفة، قسنطينة قلعة النور الخالدة، وزارة الثقافة، الجزائر، [د.س ن]، ص66.

نشأته:

نشأ أحمد الطفل في بيت أخواله، تلقى تعليمه في منطقة بسكرة نال فيها قسطا من التعليم باللغتين العربية والتركية، آخذًا من العربية الأدب واللسان، ومن التركية الحكم والسلطنة[1]، كذلك تدرب على العمل الدبلوماسي منذ صغره[2].

تعلم أحمد فنون القتال والفروسية كما تمرن على الصيد ومارس الحكم وهو ابن الثامن عشر من عمره[3]، اتجه إلى التدريب وركوب الخيل واستعمال السلاح[4]، فكان بذلك رجلا قويا شجاعا، صارما، معروف بالدهاء السياسي والعسكري[5].

زار أحمد الحجاز ومصر ومارس العمل الإداري، كما قام بزيارة البقاع المقدسة والتمكن من أداء فريضة الحج مع عائلته رغبة في التخلي عن حياة الفجور التي يحبها[6]، فبقي في المشرق أكثر من عام يجول ويتعرف ويدرس ويقيم العلاقات، حيث درس الحياة السياسية والفكرية في الحجاز ومصر واسطنبول وقد اجتمع "بمحمد علي" والي مصر وعرف نهضة مصر على يديه، واجتمع بأبنائه: "إبراهيم" و"طوسون" و"عباس"، وهذا الرصيد من المعرفة جعله يختلف عن البيات الآخرين، فقد كان لمكوثه بمصر مدة طويلة قد أكسبته الكثير من المعارف والتجارب[7]، إضافة إلى ميوله الديني الذي دفعه للذهاب إلى البقاع المقدسة في سن مبكرة حيث بدا هذا واضحا في شخصيته[8].

بعد عودته من المشرق سعى للحصول على منصب خليفة فحازه على الجهات الشرقية من بايلك الشرق (1817 - 1821م) على عهد البايين "على بورصالي" و"ابن شاكر"،

(1) محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص62.
(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص139.
(3) آسيا تميم، المرجع السابق، ص23.
(4) محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص63.
(5) عمار عمورة، مرجع سابق، ص276.
(6) بشير بلاح، المرجع السابق، ص113.
(7) صالح فركوس، أحمد باي رجل دولة، المرجع السابق، ص21.
(8) الطاهر رجال، المرجع السابق، ص15.

وكانت له خلال ذلك تحركات أثارت غضب السلطان فعزله الداي ونفاه إلى مليانة عامين ونصف لاتهامه بإجراء اتصالات مريبة مع باي تونس، ثم أذن له بالإقامة بالبليدة عاما تحت إمرة قائد الجيش الأغا "يحي" سنة 1825م[1].

أعجب الأغا "يحي" بأحمد خاصة أثناء الزلزال الذي أصاب البليدة، فسعى لدى الداي حسين للعفو عنه ثم تعيينه في السنة التالية على رأس بايلك الشرق وكان أول كرغلي يتولى ذلك المنصب حيث كان من التقاليد أن الكراغلة لا يقلدونه لذلك بذل أحمد جهودا لبلوغ مطمحه[2].

سافر أحمد باي إلى العاصمة بصحبة 400 فارس لأداء الدنوش إلى حكومة الداي في صيف عام 1830م فصادف وصوله إليها ظهور طلائع الحملة الفرنسية فاقترح خطة ذكية لمواجهة الفرنسيين عارضها قائد الجيش الجديد الأغا "إبراهيم" وشارك في معركتي سيدي فرج وسطاوالي[3].

وبالتالي نجد أن أحمد باي نشأ متأثرا بالدين الإسلامي الحنيف حيث تم العثور في كتاباته على قصيدتين منسوبتين إليه يستشف منها إيمان الباي بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، كما أن أدائه لفريضة الحج وعلاقاته بالمشرق ومكوثه بمصر مدة طويلة قد أكسبته الكثير من المستجدات[5].

كانت فترة حكم الحاج أحمد باي (1241 ـ 1252هـ/ 1825 ـ 1837م) فترة مميزة بقوتها وخصوصية أحداثها وانتهاج حكامها لسياسة تختلف عن السياسة السابقة لبايات قسنطينة وذلك باعتماده على سياسة تكفل له مساندةُ القِوَى المحلية وخاصة بعد استيلاء

(1) محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة ... ، المصدر السابق، ص07.

(2) المصدر نفسه، ص07.

(3) بشير بلاح، المرجع السابق، ص113.

(4) صالح فركوس، أحمد باي...، المرجع سابق، ص21.

(5) صالح فركوس، موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية من بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال (1830 ـ 1962م)، القافلة للنشر، الجزائر، [د.س ن]، ص176.

القوات الفرنسية على الجزائر واستعداده للمقاومة، ولتنفيذ خطته وضع للبايلك إدارة محلية وجيشا تحت أحد رجال القبائل البربرية وهو "علي بن عيسى من بني فرقان"[1].

توليه الحكم:

لقد كان للحاج أحمد باي أنصار من الكراغلة الذين كان ينتمي إليهم هو وأبوه محمد الشريف (جماعة ناتجة عن زواج الأتراك من السكان المحليين سواء العرب أو غيرهم من البربر)، والتي كانت لها مناصب في الدولة على عدة مستويات مختلفة، هذا من جهة ومن جهة أخرى مكانة أخواله مشايخ العرب بن قانة، وأخوال أبيه مشايخ مجانة أبناء المقراني[2].

فنشأته بين هؤلاء الأشراف، جعلته من أن يتلقى تكوينا مكّنه من أن يتقلد مناصب متعددة في السُلّم الوظيفي آنذاك[3]، كما كان أحمد باي على علم بأن العلاقة مع عرب البايلك الشرقي مهمة خاصة لمن يريد التدرج في المناصب، وعلى إثري ذلك أقام علاقات مصاهرة ببعض القبائل، فتزوج من عائلة بن قانة والمقراني، وكذلك أولاد "عز الدين" من زواغة، وأولاد عاشور من فرجيوة، وبعدها أخذ يحضى بثقة الحكام[4]، حيث هنا بدأ ظهور نجمه عند توليه رتبة قائد العواسي [5] سنة 1809م وكان عمره حينها حوالي 25 سنة، (قائد الحراكتة، وتحت امرته 32 قبيلة صغيرة تشمل معظم سكان الشاوية)[6]، على عهد البايات: "علي بورصالي" (1808م)[7] و"أحمد نعمان" (1811م) و"ابن شاكر" أو "محمد تشاقر" (1814م)[8].

---

(1) جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ(19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة قسنطينة 2، 2014م، ص204.

(2) الطاهر رجال، المرجع السابق، ص16.

(3) المرجع نفسه، ص16.

(4) عمار بن محمد بوزير، مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري، [د.ن]، [د.م ن]، [د.س ن]، ص8.

(5) صالح فركوس، موسوعة تاريخ جهاد الأمة...، المرجع السابق، ص173.

(6) الطاهر رجال، المرجع السابق، ص16.

(7) بشير بلاح، المرجع السابق، 113.

(8) عمار بن محمد بوزير، المرجع السابق ، ص9.

وبعد ذلك عين على عهد الباي أحمد المملوك (1818م) خليفة له وفي نفس السنة خليفة "لمحمد الميلي"، ثم خليفة "لإبراهيم باي" الغربي سنة (1819م)، وسرعان ما يتغير حاله، حينما تولى منصب الباي "إبراهيم القريتلي" 1822م[1]، الذي دبر له مكيدة واتهمه بالتآمر والولاء لباي تونس، وهنا اضطر بالفرار إلى الجزائر، لنفي التهمة عنه، وفي المدينة تبين للداي برائته، فلو كان متآمرا على الجزائر حقا لفر إلى تونس... ومن الجزائر أبعد إلى مدينة البليدة، وهناك توطدت العلاقة بينه وبين قائد الجيش "يحي آغا" ولم يخفى إعجابه به أمام "الداي حسين"[2]، وحينما سمحت الفرصة زكاه ليكون هو بايلك الشرق في سنة 1826م[3].

وعندما تولى بايلك قسنطينة استغل مهاراته وعلاقاته الأسرية في إدارة الإقليم على أحسن وجه، وخاصة أخواله من عائلة ابن قانة وكان ارتباطه بالإقليم وثيقا[4].

كما عرف الباي أحمد في مرحلة من مراحل حياته أكبر أعدائه أولاد فرحات الذين يتنازعون من أجل منصب شيخ العرب مع أولاد ابن قانة، حيث كان محمد بلحاج بن قانة الذي كان من أكبر المقربين لديه حيث منحه منصب شيخ العرب سنة 1827م على حساب فرحات بن سعيد الذي سيصبح فيما بعد من ألد أعدائه [5].

ولقد وقف الحاج أحمد إلى جانب الداي حسين باشا عندما وقع الغزو الفرنسي على الجزائر عام 1830م، حيث بعث إليه "حسين باشا" يأمره بالقدوم إلى العاصمة في رحلة "الدنوش"، وكذلك أمره بتحصين ميناء عنابة فذهب ومعه بعض أعيان قسنطينة، وعند وصوله إلى العاصمة أخبره حسين بأدق التفاصيل التي تخص الحملة الفرنسية، وطلب منه

(1) عمار بن محمد بوزير، المرجع السابق، ص8.

(2) عزي بوخالفة، المرجع السابق، ص67.

(3) عميراوي أحميدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة، 2005م، ص122.

(4) محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة ...، المصدر السابق، ص31.

(5) محمد العربي حرز الله ، المرجع السابق، ص63.

أن يكون مستعدا لملاقات الفرنسيين في سيدي فرج، كما حذره الباشا بأن هناك جواسيس يتتبعون أخبار الفرنسيين في مالطة وجبل طارق وفرنسا[1].

ولقد حظر الحاج أحمد مجلسا عسكريا قرب سطاوالي وحضره أيضا الأغا "إبراهيم"، قائد الجيش وصهر الباشا، وباي التيطري "مصطفى بومرزاق"، وخليفة باي وهران و"خوجة الخيل" وكانوا في نقاش على وسائل الدفاع، وقد ساهم الحاج أحمد في هذه المجادلة الطويلة التي حدثت والتي تناقض فيها رأيه مع رأي الأغا، وبعد وقوع معركة سطاوالي التي حضرها الحاج أحمد وفقد من رجاله حوالي 200، وبعد احتلال الفرنسيين على قلعة "مولاي حسن" انسحب الحاج أحمد إلى وادي القلعة ثم إلى عين الرباط شرقي العاصمة، ثم واصل طريقه شرقا في اتجاه قسنطينة، حيث انضم إليه أكثر من 1600 شخص رجالا ونساءا هاربين من الجيش الفرنسي، وفي أولاد زيتون تلقى رسالة من بورمون (bourmant) قائد الجيش الفرنسي يخبره فيها بتوقيع معاهدة الاستسلام ويعرض عليه اعتراف فرنسا به كما هو مقابل أن يدفع "الجزية" التي تعود دفعها الى الباشا[2].

ولقد كان رده هو أن ذلك متوقف على رضى أهل الإقليم الذي يحكمه، ثم تابع طريقه متجه نحو قسنطينة التي وصل إلى ضاحيتها بعد اثنين وعشرين يوما[3].

وعندما استتب الوضع في مدينة قسطينة، اجتمع أحمد باي بأعضاء الديوان من أجل أن يشاورهم في العرض الذي تقدم له من قبل بورمون (bourmant) قائد الجيش الفرنسي، وذلك باعتراف فرنسا به بايا مقابل أن يواصل دفع الجزية إليها، فكان الرد من قبلهم بالرفض من جميع أعضاء الديوان لأن مدينة قسنطينة تابعة لباشا الجزائر وتمتثل لأوامره، وهي كذلك

(1) بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري، ج1، دار النفائس، بيروت، [د.س ن]، ص225.

(2) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص134، 135.

(3) المصدر نفسه، ص135.

بذاتها تمتثل لأوامر اسطنبول، ولهذا يجب مشاورة السلطان محمود الثاني، والحصول على موافقته[1].

وخلال هذه المناقشات علم أحمد باي أن القائد الفرنسي في الجزائر قد عزله من منصبه، وعين في مكانه "السي مصطفى" شقيق باي تونس، وبذلك أصبحت قسنطينة تابعة لتونس حسب رأي الجنرال كلوزيل (clousel) الذي كان يحكم الجزائر، وهذا ما جعل بالباي أحمد أن يعين خليفة "بن عيسى" خزناجيا، أي أمين الخزينة ويضرب النقود باسمه[2].

المبحث الثاني: مراحل مقاومة الحاج أحمد باي:

مرت مقاومة أحمد باي بعدة محطات يمكن تقسيمها إلى مراحل وكانت كل مرحلة مختلفة عن الأخرى بما تحمله من تنسيق وتنظيم عسكري وانتصارات، وكل هذا سنتعرف عليه من خلال المراحل التي جسدتها مقاومة أحمد باي.

أولا: مرحلة تنظيم المقاومة (1836 ـ 1844م):

قاد أحمد باي ولاية قسنطينة التي كانت من أكبر ولايات البلاد، ولم يكن من المبايعين للأمير عبد القادر حيث رفض الاعتراف بحكومته، لأنه كان يعتبر نفسه أولى بالخلافة بحكم أنه يحكم أكبر مقاطعة في البلاد وهي منطقة قسنطينة، حيث استطاع أحمد باي من خلال هذه المنطقة من صَدْ هجوم الفرنسيين وإلحاق بهم هزيمة نكراء حيث يتلخص ذلك فيما يلي[3]:

1. الغزو الفرنسي الأول لقسنطينة (1836م):

جاء كلوزيل (clousel) إلى الجزائر مرة ثانية، بعد أن عُزل منها في المرة الأولى يتمتع بدعم كبير من الحكومة الجديدة في فرنسا، حاملا مخطط استعماري من وحي

(1) عمار بوحوش، المرجع السابق، ص116.

(2) المرجع نفسه، ص116.

(3) عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013م، ص86.

خياله[1]، حيث تمكن بتهديداته من عزل الجزائر من الناحية الشرقية ثم الغربية، وذلك من خلال تحديد باي تونس ونزع الاعتراف من ملك المغرب السلطان "عبد الرحمان" بالسيادة الفرنسية على الجزائر[2].

ولقد بدأ بالتحرك باتجاه قسنطينة عن طريق الحرب النفسية كالاتصال بزعماء القبائل والشيوخ لاستمالتهم عن طريق رسائل الترهيب والترغيب من طرف يوسف اليهودي[3]، والتنكيل بهم ونهبهم[4]، وكانت ثقة الماريشال كلوزيل (clousel) متزايدة في تقارير يوسف معلقا آماله على النجاح[5]، حيث كان يتباهى بتأثيره ومهارته حيث جعله يعتقد بأن الاستيلاء على قسنطينة سيكون سهلا وبأن هذه الحملة ستكون مجرد نزهة عسكرية وأن البلد يستسلم من تلقاء نفسه[6]، (ثقته بنفسه هذه ترجع من خلال استيلائه على عنابة في مارس 1832م حيث شرعت قواته بالاغارة على القبائل الجزائرية والتنكيل بهم ونهبهم[7])، حيث لعب يوسف المملوك دور قذر مع باي التيطري "مصطفى بومرزاق" وباي قسنطينة السابق "إبراهيم الكرتيلي" بمساعدتهم للفرنسيين على احتلال مدينة عنابة[8].

ولكي يتمكن الحاج أحمد من كشف نوايا يوسف المملوك[9] التونسي الذي كان يجهز حملة عسكرية على منطقة قسنطينة، طلب من شيخ وادي الزناتي أن يقوم بزيارة إليه في

(1) محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2014م، ص161.

(2) الطاهر رجال، المرجع السابق، ص61.

(3) المرجع نفسه، ص61.

(4) بشير بلاح، المرجع السابق، ص115.

(5) محفوظ قداش، المرجع السابق، ص56.

(6) شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة (الغزو وبدايات الإستعمار 1827 ـ 1871م)، مجلد 1، دار الأمة، الجزائر، 2008م، ص234.

(7) بشير بلاح، المرجع السابق، ص115.

(8) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص396.

(9) يوسف المملوك: اسمه الحقيقي جوزيف فانتيني Josef vantini يهودي نشأ في مدينة تونس، كان مملوكا مفضلا لدى باي تونس، قدم إلى الجزائر مع الاحتلال الفرنسي، وأصبح يحمل رتبة ضابط متميز يترأس فرقة السبايس، ماهر في قطع رؤوس الأهالي وضربهم بالعصى لاسيما الأعيان وذلك بغية جمع الضرائب، أنظر: عبد العزيز فيلالي، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830- 1850م، دار الهدى، الجزائر، [د. س ن]، ص 75.

مدينة عنابة ليري بنفسه ما يجري هناك ولقد كان يوسف ذكيا واستغل مجيء ضيفه حيث استقبله بحفاوة بالغة وأهداه بندقية وعندما سأله الشيخ عن موعد طرد الفرنسيين رد عليه بأنه لا يعرف متى سيتم ذلك[1]، ومن هناك تأكد الشيخ عن ادعاءات يوسف التي كانت تقوم بها سكان القبائل المجاورة لعنابة، ومن هنا تأكد وتبين له بأن النشاط الذي يقوم به يدخل في إطار استعدادات الفرنسيين لحملة عسكرية على منطقة قسنطينة وتنصيبه بايا عليها بعد قيامه بإسقاط الحاج أحمد منها[2].

وبدأت الحملة العسكرية على منطقة قسنطينة في شهر سبتمبر1836م، حيث قررت فرنسا أن تستولي على عاصمته وتضع حد لمقاومته[3]، فقامت بتجميع قوات من الجزائر ووهران وبجاية في معسكر متقدم من عنابة بمنطقة الذرعان مكونة من 8800 رجل موزعة على أربعة فرق مدعمة بالمدفعية و14 قطعة ميدان يترأسها الماريشال كلوزيل (clousel) بمساعدة ابن الملك الدوق "دي نمور" والجنرالات تريزيل (trezel) وديفيني (divini)، وقد بدأ الزحف يوم 8 نوفمبر 1836م نحو قسنطينة[4].

وكان الحاج أحمد باي يتتبع أخبار استعدادات العدو بفضل عيونه المنتشرة في كل مكان، فاستدعى كل المقاومين من أطراف البلاد وشكل خطة لصد العدوان، وذلك من خلال أنه قسم قواته إلى قسمين[5]: قسم كلف بالدفاع عن المدينة من الداخل بإمرة خليفته الخزناجي "بن عيسى" و"محمد بن بجاوي" بعد أن وفر لهما 1000 فارس ومزودين بثلاثين مدفعا على الأسوار وفي القصبة[6]، والقسم الثاني الذي كان بقيادة الباي[7]، استدعى فيه من

(1) محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي (1830 - 1918م)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص73.

(2) المرجع نفسه، ص74.

(3) بشير بلاح، المرجع السابق، ص116.

(4) الطاهر رجال، المرجع السابق، ص61.

(5) المرجع نفسه، ص61.

(6) محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون...، المرجع السابق، ص74.

(7) بشير بلاح، المرجع السابق، ص116.

سائر مناطق البايلك قوات كبيرة بلغ تعدادها 5000 فارس و2500 رجل من المشاة المتطوعين حيث عسكر بهم في وادي الأحمد سيدي مبروك حيث تقدم بهم في المواجهة من أجل ملاقاة العدو الذي كان قد خرج من عنابة[1].

وبعد حدوث الصدام الأول بين الجيشين قرر الحاج أحمد عدم الدخول معهم في معركة فاصلة وذلك بسبب عدم ملائمة المكان، ولذلك قام باستدراجهم عن طريق المناوشات حتى يقترب منهم في سفوح مدينة قسنطينة، حيث كانت الطبيعة الوعرة للمسالك لعبت دورا كبيرا في جعل جنود الغزاة بين فكي الكماشة، وبهطول أمطار غزيرة بشكل متواصل ساعدت قوات الحاج أحمد باي للقضاء على الجيش الفرنسي، حيث ألحقت به خسائر معتبرة منعته من التقدم والحركة[2].

بدأ الفرنسيون بضرب المدينة بالمدافع التي نصبوها في المنصورة وهضبة سيدي مبروك، ومهاجمتها بمشاتهم من ناحيتي باب القنطرة من الشرق والكدية من الغرب من أجل أن يطبقوا على المدينة فكي الكماشة، ولقد دام الحصار أيام 21- 22 - 23 نوفمبر[3]، وفي اليوم التالي وقعت الهزيمة النكراء فرفع الغزاة حصارهم بعدما تكبدوا خسائر جسيمة وشرعت الجيوش الفرنسية في الانسحاب تاركة ورائها "الأسلحة والذخيرة والجرحى وعددا كبيرا من العربات المشحونة بالمؤن المختلفة مثل السكر والقهوة والأدوات الطبية والخمور وبإيجاز كل ما يحتاج إليه الجيش الفرنسي من تجهيزات"[4] ولقد دفعت تلك الهزيمة بالحكومة الفرنسية إلى عزل "كلوزيل" (clousel) من منصبه في 13 يناير 1837م وتعيين الجنرال "دامريمون" (damrémont) خلفا له وإعداد غزو ثانية[5].

(1) محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون...، المرجع السابق، ص74.

(2) المرجع نفسه، ص74.

(3) بشير بلاح، المرجع السابق، ص117.

(4) محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي، المرجع السابق، 166.

(5) بشير بلاح، المرجع السابق، ص117.

2. الغزو الفرنسي الثاني لقسنطينة (1837م):

بعد حدوث المقاومة المشرفة قام أحمد باي وأهل قسنطينة بترميم أسوارها وحصونها، وكذلك أمر بتهديم المنازل الرابطة بين كدية عاتي والمدينة التي لاحظ خلال الحصار الأول أن العدو قد احتمى بها وسهلت عليه التقدم نحو الأسوار[1]، وكان أحمد باي متوقع بأن الفرنسيين سوف ينتقمون لهزيمتهم، ولذلك إستعد للجولة الثانية بتعبئة الجيش والمتطوعين كما راسل السلطان العثماني يخبره بانتصار المسلمين، وطالب الدعم منه، فرد عليه وبعث إليه سفن بعساكرها إلى ميناء تونس لكن هذه المساعدة لم تصله لأن تونس كانت تحت تهديد الفرنسيين[2].

بعد أن أبرم الفرنسيين معاهدة تافنة مع الأمير عبد القادر، تفرغوا مجددا لقتال أحمد باي[3]، ونظرا للاستعدادات المكثفة بدأ الجيش الفرنسي حملته الثانية في بداية أكتوبر سنة 1837م[4]، وكان يتكون من ثلاثين ألف مقاتل، ويحمل معه 36 مدفعا من العيار الثقيل بقيادة الجينرال "فالي" (valée) وفرقة هندسة عالية التجهيز[5].

أما من جانب أحمد باي فقد وضع عددًا من الألغام أمام الأبواب الرئيسية لمدينة قسنطينة، واتجه بعد ذلك إلى مجاز عمار (قرب قالمة) وهاجم القوات الفرنسية التي بدأت تتجمع هناك[6].

---

(1) الطاهر رجال، المرجع السابق، ص65.

(2) عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 ـ 1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، [د.م ن]، 2014م، ص29.

(3) بشير بلاح، المرجع السابق، ص117.

(4) حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث، قسنطينة، 1984م، ص55.

(5) فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832، 1837م)، تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر،2007م، ص62.

(6) محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون، المرجع السابق، ص77.

ثم إنسحب إلى واد زناتي، كما فعل في الحملة الأولى ومنه إلى الصومعة حيث إلتحق به الشيخ مولاي "الشقفة" من جبال البابور على رأس حوالي 10000 متطوع، مع عدد آخر من الزعماء الكبار[1] محاولا أحمد باي الإيقاع بهم كسابقتهم لكن الغزاة كانوا هذه المرة أكثر استعداد وأوفر عددًا وعدة[2]، حيث تمركزوا في المنصورة ونصبوا المدافع في إتجاه قسنطينة، حيث إتجه جزء منها للتمركز في الكدية قرب المسلح، وانطلقت المدافع الفرنسية تضرب حصون قسنطينة، ومن هنا طلب القائد العام "دامريمون" (damrémont) إلى الاستسلام من سكان المدينة[3].

وقد رّد أحمد باي قائد المقاومة الجزائرية بعد طلب جنرال الجيش الفرنسي منه الاستسلام بما يلي: «من الأمة المحافظة على شرفها وبلدها إلى العسكر الفرنسي المعتدي على حقوق غيره، قد وصلتنا رسالتكم وفهمنا ما ذكرتموه فيها نعم، إن مركزنا أمسى في خطر عظيم ولكن إستيلائكم على قسنطينة المحبة بالأبطال العرب الذي لا يهابون الموت موقوف على قتل واحد منهم واعلموا أن الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا»[4].

ويذكر كذلك أن مرسولا أرسل يوم 12 أكتوبر 1837م إلى المدينة، وهو من فرقة الزواوة، تم القبض عليه، ثم أطلق صراحه ليقول لمرسليه «أن في قسنطينة كثيرا من المؤن والذخائر، وإذا كان الفرنسيون في حاجة إلى شيء منها فإن في إستطاعتنا أن نزودهم بما يريدون أما الاستسلام فإننا لا نعرف معناه وسنصمد في الدفاع عن مدينتنا ودورنا أنها لن

(1) محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون، المرجع السابق، ص77.

(2) بشير بلاح، المرجع السابق، 117.

(3) محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون، المرجع السابق، ص77.

(4) العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص175.

تسقط في أيديكم مادام مدافع حيا يرزق» وبعد أن سمع دامريمون هذا الجواب قال: «إنهم رجال شجعان فليكن ذلك إذن؟ إن المعركة ستكون بالنسبة لنا أمجد»[1].

وأبدى القسنطنيون صمودا كبيرا في الدفاع عن المدينة، حيث تمكنوا من قتل قائد الحملة «دامريمون» (damrémont) وعدد من الضباط، وكاد هنا أن يحقق المقاومون النصر، لولا أن الجيش الفرنسي تمكن من فتح ثغرة للتوغل في المدينة[2] يوم الجمعة 14رجب 1253هـ الموافق لـ 13اكتوبر 1837م[3]، ولكنهم إضطروا إلى حرب شوارع من بيت إلى بيت لأن هذه العملية سهلت على الجيش الفرنسي دخوله إلى المدينة[4]، حيث استشهد فيها المئات من الجزائريين دفاعا عن العرض والأرض، وكذلك قتل أمثالهم من الهاربين من جحيم المحتلين عبر الأودية السحقية أي تقطعت بهم حبال النجاة، وسقطت المدينة خلال يومي 13و14 أكتوبر وظل القوات ينهبونها ثلاثة أيام متتالية وكذلك قتل المئات من الجنود والضباط الفرنسيين في مقدمتهم الحاكم "دامريمون" (damrémont) فخلفه الجنرال "فالي" في 13 أكتوبر[5].

بعد سقوط المدينة وضع أحمد باي مخططا لمقاومة الفرنسيين، حيث إعتمد على قطع وتهديد خطوط مواصلاتهم بين عنابة وقسنطينة والقيام بتجميع قواته في شكل زمالة متنقلة، لكنه إنسحب امتثالا لرأي خاله "بوعزيز بن قانة" إلى الزيبان وكان معترضا على مخططه لأنه أراد منه أن يحارب خصمه "فرحات بن السعيد" بالصحراء أولا، ثم الفرنسيين ثانيا[6]، وبالرغم من أن الحاج أحمد باي لم يكن يستحسن هذا الاقتراح لكنه لم يجد حلا من موافقة

(1) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 ـ 1855م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص87.

(2) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص29.

(3) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص249.

(4) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص30.

(5) بشير بلاح، المرجع السابق، ص118.

(6) المرجع نفسه، ص118.

خاله، وهي الخطة التي إعترف أحمد باي بأنها سبب هلاكه[1]، وخلال شهر ديسمبر 1837م، إصطدمت قوات الحاج أحمد باي "بفرحات بن سعيد" في معركة ضاربة، وقد كان فرحات بن سعيد يعلم أن أحمد باي يلاحقه، لذلك تمكن من تحقيق النصر عليه حيث تمكن من قتل أولاد بن قانة من أتباع الحاج أحمد أكثر من 10 رجال وتمكن من حجز عدد من الرهائن[2]، فراسل الماريشال فالي (valee) يخبره بالنصر الذي حققه ويطلب منه الدعم والمساعدة ليدخل في مواجهات مع ابن قانة وأحمد باي وكانت منطقة بسكرة محلا لمجابهات عديدة[3]، حيث تمكن أحمد باي بإلحاق الهزيمة بفرحات بن سعيد وإزاحته[4].

لم يسلم فرحات بن سعيد بالهزيمة، وبعد طلب العون والدعم من الفرنسيين دون نتيجة توجه نحو الأمير عبد القادر ووضع نفسه تحت إمرته، فدعمه وأرسل إليه خليفته "محمد البركاني" في مايو 1838م على رأس قوة من الفرسان قدر عددها بألف وتسعمائة رجل ومعها كمية من المدفعات والعتاد الحربي[5]، وبعد مواجهات عنيفة أجبر أحمد باي وابن قانة على النزوح من بسكرة والإتجاه شمالا نحو باتنة[6].

في شهر مارس 1838م، حاول أحمد الإقتراب من مدينة قسنطينة حاثا القبائل على الجهاد وعندما أزعجت حركته القيادة الفرنسية بقسنطينة بادر الضابط "نيقريي" إلى الخروج في 15 ماي 1838م في حملة عسكرية لمقاتلة الباي، لكنه عندما يئس من ملاحقته وخشي العواقب الوخيمة التي تنجم عن تلك الحملة، بعث إليه رسالة جاء فيها ما يلي: «... إنك

(1) محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون، المرجع السابق، ص78.

(2) محمد الصالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستيلائهم على أوطانها، تح: يحي بوعزيز عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص185.

(3) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص30.

(4) بشير بلاح، المرجع السابق، ص118.

(5) ناصر الدن سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص48.

(6) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص31.

تحاول (الحاج أحمد) إثارة الجماهير... وعليه ينبغي أن أقاتلك أينما وجدتك[1]... إن إستسلامك الكلي يمكن وحده أن ينقذك من الهلاك وليس لك إلا أن تثق في شرف فرنسا بهذا الشرط أضمن لك الأمن وعائلتك وأملاكك...» [2].

ولقد إنتظر الحاج أحمد مدة من الزمن بصبر وأمل على وصول المساعدات من الباب العالي الذي أصبح في وضعية لا يحمد عقباها، وخلال شهر سبتمبر بدأ الحاج أحمد يتحرك ويعمل على إيقاظ شعور القبائل من أجل التوحد كتلة واحدة ضد الإستعمار، حيث انتهى به الأمر بتحركاته بالوصول إلى غاية الحدود التونسية، متأملا توحيد القبائل لشن الهجوم على العدو بمدينة قسنطينة[3].

وخلال تلك الأحداث، عمل الحاج أحمد على تحريك أولاد بوعزيز اللذين ثاروا على العدو الفرنسي عام 1839م، وكانت هذه الثورة مجهزة لها فرنسا حملة كبيرة تتكون من 1200 جندي[4]، كما طالب الباي من الشخصيات البارزة التي كانت من أنصاره المشاركة في الثورة منها: خليفته السابق: "ابن عيسى"، وآغا مدينة القالة: "أحمد بن الحملاوي"، وابن عطار: قائد ميلة، ونفوذ بالبايلك، وهذا هو الأمر الذي أقلق السلطات الفرنسية[5].

وفي عام 1840م قاد الجنرال "فالبوا" حملة عسكرية ضده وهاجم الحراكتة اللذين كانوا يؤيدونه ويقدمون له يد المساعدة من المال والمأوى، وقتل عددا كبيرا منهم، وسلبوا لهم

(1) صالح فركوس، جهاد الحاج أحمد باي (1848 ـ 1830م)، أول نوفمبر سياسة تاريخية ثقافية إجتماعية،ع: 164، الجزائر، 2000م، ص21.

(2) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق م، 1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2002م، ص171.

(3) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص173.

(4) صالح فركوس، جهاد الحاج أحمد...، المرجع السابق، ص22.

(5) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر... ، المرجع السابق،ص ص173 ـ 174.

80000 ألف رأس من الغنم[1]، وبهذا استنجدوا بالحاج أحمد، وقبل دعوتهم تمكن من استرجاع جزء من مقطعاتهم المسلوبة[2]، ثم رجع إلى "وادي ريغ" وأقام به سنتان[3].

خلال شهر أكتوبر 1841م كان الحاج أحمد قد تمركز بسهل طاقة على بعد 25 ميل من مدينة قسنطينة، مستعدين لمواجهة العدو فقام بجمع قوات تقدر بألف فارس وعدد كبير من المشاة[4]، وعندما علمت السلطات الفرنسية بذلك جهزت حملة عسكرية بقيادة "نيقريي" فدارت المعركة بين الطرفين فقتل تسعة جنود من قوات المستعمر وجرح 28 من بينهم ثلاث ضباط في حين تمكن العدو من نهب المواشي[5]، وفي عام 1842م إنتقل الحاج أحمد إلى لحناشة بالأوراس لجمع شمل عائلته وأملاكه فاتجه إليه طابور فرنسي ليلاحقه ولم يستطع أن ينال منه وهناك مكث مدة سنة ونصف[6].

وفي العام الموالي 1843م إستنجد به أولاد دراج ليساعدهم لضرب خليفة الأمير عبد القادر: "محمد الصغير بن بلحاج"[7] بمنطقة المسيلة وبسكرة، ولقد لبى رغبتهم واشترك معهم في مهاجمته ببسكرة وقتلوا 40 رجلا، وانتزعوا منه 30 بندقية ثم عادوا إلى الحضنة، أما الحاج أحمد عاد إلى مكانه وراسله زعيم ريغة "الشيخ مسعود" وأعلمه بأن طابور فرنسا يلاحقه ويتجه إليه من سطيف ليهاجمه[8] من أجل إتخاذ الإحتياطات وأعلن إستعداده بأن يتعاون معه، وعندما إصطدم بالطابور الفرنسي فقد ستة من رجاله وبعض الأحصنة وعاد

(1) محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص188.
(2) بشير بلاح، المرجع السابق، ص119.
(3) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص31.
(4) صالح فركوس، جهاد الحاج أحمد...، المرجع السابق، ص22.
(5) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص174
(6) محمد صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص189.
(7) بشير بلاح، المرجع السابق، ص119.
(8) محمد صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص189.

إلى الحضنة وبقي بها حوالي أربعة أشهر، ثم إتجه إلى أولاد السلطان ونُفي عندهم عاما ونصف واتجهت إليه عدة طوابير فرنسية لتحاصره وتقاتله[1].

ثانيا: مرحلة التصدي للجيوش الفرنسية (1844 ـ 1848م):

لقد واجه أحمد باي في هذه المرحلة تقدم القوات الفرنسية لكنه استطاع بفضل إخلاصه وحنكته وشجاعة المجندين معه من رجال قبائل أولاد السلطان بجبال بلزمه بأن يشارك في معارك بطولية خالدة تجعلته رمزا ومثالا في التضحية والجهاد[2]، ونظرا للمخاطر التي ظل أحمد باي يشكلها قررت القوات الفرنسية إعلان هجوم كاسح في سنة 1844م بالأوراس[3] بعد تعيين "الدوق دومال" (duc Daumal) لقيادة مقاطعة قسنطينة[4]، والذي صمم هو الآخر عن مواصلة التوسع في الجنوب باحتلال بسكرة ووضع حد لمقاومة الحاج أحمد[5].

فانطلقت القوات الفرنسية المؤلفة من 2400 جندي و600 فارس و3 قطع من المدفعية[6]، أما قوات الباي آنذاك تشتمل على 700 فارس من أولاد السلطان الذين خاضوا معركة في منتهى الصعوبة حيث يقول الباي في مذكراته أستطيع القول بأنها أعظم وأكبر معركة حضرتها في حياتي ويعلم الله كم معركة شاهدتها منذ طفولتي[7].

ولقد بدأت المناوشات الأولى بقيام رجال أولاد السلطان المهاجمة على طلائع الجيش الفرنسي بالقنطرة يومي 19، 20 فيفري 1844م، وفي تلك الأثناء قام الفرنسيون بجمع قواتهم والتوجه نحو سفوح جبال بلزمه[8]، وعندما قام الفرنسيون بتشكيل ستة طوابير ليصلوا

(1) محمد صالح بن العنتري ،المصدر السابق ، ص190.
(2) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص52.
(3) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص31.
(4) بشير بلاح، المرجع السابق، ص119.
(5) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص52.
(6) المرجع نفسه، ص52.
(7) صالح فركوس، جهاد الحاج أحمد...، المرجع السابق، ص22.
(8) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص53.

إلى قمة الجبل يوم 10 مارس 1844م[1]، ومن هنا ابتدأت المعارك الأولى فواجهوا مالا يقل عن أربعة آلاف مجاهد فتكبدوا طيلة ثلاثة أيام 10، 11، 12 مارس 1844م فكانت أضرارهم شديدة وخسائرهم كبيرة في الأرواح والعتاد[2].

ولمضاعفة المقاومة كثف أحمد باي إتصالاته بقبائل كثيرة وشخصيات أهلية بارزة، منها: وكيل الباي السابق ابن قشي والميهوب شيخ زاوية طولقة، وقبيلة أولاد داود وغيرها، فهذه الإتصالات كانت تستهدف لإعداد ثورة شاملة على العدو[3] والبحث عن مخرج للتخلص من هذا الإستعمار الغاشم[4].

وكانت معارك أولاد سلطان بزعامة الحاج أحمد باي تجربة قاسية للفرنسيين دفعتهم للعمل بقوة وسرية وفعالية للقضاء على القبائل الجبلية بالأوراس حتى لا تتحول المنطقة إلى بؤرة للمقاومة[5].

وعندما كان أحمد باي مقيم في المنعة، وجهت حملة عسكرية فرنسية مؤلفة من الجنود الفرنسيين بقيادة الجنرال بيدو (bedeau) سنة 1845م الذي خلف الدوق دومال (duc Daumal) في القيادة العسكرية بقسنطينة ضد سكان وادي عبدي، وعندما اقترب الطابور منهم بعث إليهم الجنرال يدعوهم إلى الإستسلام لكنهم رفضوا الإستسلام وطلبوا يد المعونة من أحمد باي فقبل وانظم إليهم، فوجدهم منقسمين وغير مستعدين للمعركة فقال أحمد باي : «إنني لا أستطيع أن أحارب معكم ولا أريد أن أعرض نفسي إلى الهزيمة وأن نصيحتي إليكم هي أن تستسلموا و تقولوا للجنرال أنكم تقبلون عروضه وإنها لنصيحة أملتها على مصالحكم، أما أنا فإنني أترككم»[6]، ولكنهم أجابوه قائلين «هذا مستحيل أننا لن نستسلم لأحد بل

(1) صالح فركوس، جهاد الحاج أحمد...، المرجع السابق، ص22.
(2) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص53.
(3) صالح فركوس، جهاد الحاج أحمد...، المرجع السابق، ص22.
(4) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص174.
(5) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص55.
(6) المرجع نفسه، ص 55.

سنحارب ولن نترككم تنصرون»[1]، فبقي إلى اليوم الذي وقعت فيه المعركة يوم 22 مايو 1845م، ولكنهم عند احتدام القتال، تفارقوا وفروا إلى جيهات مختلفة، فانسحب إلى جبل أحمر خدو (جنوب شرق منعة)[2].

عندما اعتصم أحمد باي بقرية الكباش في أحمر خدو بقي على صلة بالكثير من أتباعه في التل والصحراء[3]، فشعر الإستعمار الفرنسي بقوة هذا الرجل وصلابته في الدفاع عن دينه ووطنه، لذلك سخر كل ما عنده من عدّة وعتاد لوضع نهاية لمقاومة هذا القطب[4].

فأخذ كانروبير (canrobret) الحاكم العام الجديد على باتنة في الإستعلام عنه في مطلع سنة 1847م، وكان أحمد باي موجود في تلك الفترة في قرية كباش بأحمر خدو وعند أولاد عبد الرحمان، فوصى سان جرمان بالبحث عنه وألح عليه بأن يغلق كل الطرق والمسالك الجنوبية في وجهه حتى لا ينتقل إلى الصحراء ويصعب عليهم اعتقاله[5].

قاد "سان جرمان" مجموعة من قوات القوم والجنود، واتجهوا نحو قرية الكباش فلم يجدوه لأنه غادر تحت رعاية رجال أولاد عبد الرحمان متخذا إتجاه شرق الأوراس لكنهم اعترضوه بنو ملكم واقتنعوا بضرورة العودة إلى الكباش فأغلقت في وجهه كل الأبواب[6]، وقل أنصاره وفقد موارده المالية وتكاثر المتآمرون عليه من الجزائريين وحاصره الفرنسيون بقوات متخصصة في حرب الجبال في معقله بجبل أحمر خدو[7].

(1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص 55.

(2) بشير بلاح، المرجع السابق، ص119.

(3) محمد صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص190.

(4) صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826 ـ 1850م)، المرجع السابق، ص90.

(5) محمد صالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة: تق، تع، يحي بوعزيز، دار هومه، الجزائر، 2007م، ص201.

(6) المصدر نفسه، ص201.

(7) بشير بلاح، المرجع السابق، ص120.

بالإضافة لم تكن حالة الباي الصحية والعسكرية تسمح له بمواصلة الكفاح وكذلك أن معظم القبائل قد حوصرت حصارا شديدا[1]، فاضطر إلى مكاتبة "سان جرمان" حاكم ببسكرة في 02 جوان 1848م[2] عارضا عليه الإستسلام مقابل إعادة أملاكه والسماح له بالسفر إلى المشرق[3].

وفي الأخير استسلم أحمد باي بتاريخ 5 جوان 1848م ببسكرة الذين قاموا بنقله إلى الجزائر العاصمة ووضع تحت المراقبة في سكن خاص ومنحوه مرتب شهري ولم يسمحوا له بالهجرة، توفي في 4 ذو القعدة 1267هـ/ 31 أغسطس 1850م عن عمر يناهز 65 سنة ودفن بمقبرة سيد عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة[4].

(1) صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826- 1850م)، المرجع السابق، ص90.

(2) بشير بلاح، المرجع السابق، ص120.

(3) محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، مدرسة تاريخ شمال إفريقيا الحديث، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1979م، ص226.

(4) العربي منور، المرجع السابق، ص178.

الفصل الثالث:

العلاقة بين الأمير عبد القادر وأحمد باي:

المبحث الأول: عوامل التشابه.

المبحث الثاني: عوامل الإختلاف.

المبحث الثالث: إنعكاسات االعلاقة على المقاومة.

المبحث الأول: عوامل التشابه:

أولا: في التنظيم:

أدرك كل من الأمير عبد القادر وأحمد باي مجريات الأمور على المستوى الخارجي، فلعل الإصلاحات الإقتصادية التي أجراها أحمد باي بمجرد أن أصبح بايا لمواجهة الإحتلال الأجنبي للجزائر، تدخل في إطار الإقتداء بما أنجزه "محمد علي" في مصر، حيث نجد أن الأمير كان على نفس القدر من الإدراك إن لم يكن أكثر لما كان يجري على الساحتين العربية والإسلامية، وعلى دراية بطبيعة العلاقات الدولية عهدئذ، حيث كان ينوي إجراء إصلاحات على طريقة محمد علي كتحديث الجيش، تأسيس الإدارة، الأخذ بأسباب العصرنة، من خلال إرسال بعثات تكوين لفرنسا، فالأمير على علم تام بتطورات الأمور ومستجداتها، فقد كان الأمير هو الآخر قد عرف مصر، ومر بها وهو في طريقه للأماكن المقدسة أو الرجوع منها، وكان على إطلاع بما كان يجري في كل الساحات وهذا ليس عن طريق السفريات والإتصالات فحسب وإنما من خلال ما كانت تنقله إليه الصحافة الفرنسية مما يجري في العالم[1].

كما سلك الطرفان طريقة تنظيم المقاومة من خلال مواجهة الأمير لقبائل المخزن الدواوير والزمالة وسعيه في اكتساب ولائها حينا ومحاربتها حينا آخر، يقابله ما عاناه أحمد باي من مزراقية بوضياف وبوعزيز، فمعاناة الأمير من القبائل المناهضة له كالغرابة والبراجة وعبيد الشراقة وبعض شيوخها يساوي ما عاناه أحمد باي مع قبائل الصحاري وأهل وابن علي وابن ندكري... وعائلة بوعكاز برئاسة فرحات ابن السعيد وابن قانة بقيادة بوعزيز بن بولخراس بعد تحالفه مع الفرنسيين[2].

كما ظهر الرجلان على مسرح الأحداث في الجزائر في فترة زمنية واحدة حتى أن نهايتهما كزعيمين للمقاومة الوطنية الجزائرية ضد الغزو الفرنسي انتهت في نفس العام تقريبا

(1) عمار قليل، المرجع السابق، ص51.

(2) المرجع نفسه ، ص14.

1847م[1]، أي أن كلاهما قاوم الغزو لمدة سبعة عشر عاما (1830 ـ 1847م)، وكلاهما عاش الفترة العصيبة حيث عملوا على كسر جبروت فرنسا وإرباكها[2].

ثانيا: في المواجهة:

- يتشابه الطرفان فيما أحرزاه من إنتصارات عسكرية على الفرنسيين في معارك كبرى كمعركة المقطع عام 1835م و معركة سيدي يعقوب عام 1836م بالنسبة للأمير، مستاوة ومسكانة بالنسبة لأحمد باي فضلا على إنتصاراتهما على التحالفات الأهلية وهي إنتصارات تتم عن الجهود المبذولة والمساعي الهادفة والمرامي البعيدة[3].
- يتشابهان كذلك في العمل على مواجهة الاستعمار الفرنسي بجبهة قوية صلبة متماسكة صامدة غير جبانة وضعيفة[4].
- كلا منهما يعمل على الجهاد ضد العدو الواحد الذي ظل مدة طويلة بالبلاد يعبث فيها كما يشاء مهلكا الحرث والفساد وزارعا الموت والدمار[5].
- عمل كل منهما على تكوين جبهة قوية راكزتها الجند والفرس تكون بذلك قادرة على المواجهة والتصدي ، كما عملوا على توسيع قاعدة حكمهم من خلال العمل على كسب تأييد الجماهير وتوحيد صفوف القبائل وكسب ولائها[6].
- لكل منهما شخصية ودهاء معتمد عليها في المواجهة قائمة على العزيمة والإصرار حيث وقع بينهما شبه اتفاق ضمني لتفادي التعديات، إذ حاول الأمير خلالها مرتين أن يكسب

(1) عبد الحميد زوزو، مراسلات الأمير مع الجنرال دي ميشيل، المرجع السابق، ص14.

(2) مصطفى عبيد، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان (1812 ـ 1884م)، دراسة تاريخية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، (2007، 2008م)، ص40.

(3) صالح فركوس، الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص65.

(4) إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص17.

(5) عبد الحميد زوزو، مراسلات الأمير...، المرجع السابق، ص15.

(6) المرجع نفسه ، ص15.

لفائدته قضية بعض المناطق في القطاع القسنطيني كمنطقة بسكرة، تجنبا خطر دخولها تحت السلطة الفرنسية بعد أن أفلتت من حكم أحمد باي المتهاوي[1].

المبحث الثاني: عوامل الإختلاف:

أولا: الإنتماء العرقي:

اعتمد الأمير على نفوذه الروحي وعائلته الأرستقراطية لدى قبيلة الحشم لمد نفوذه لغيرها من القبائل المبايعة والموالية له، كما كان نفس الشيء بالنسبة لأحمد باي الذي سبق الأمير في توليه لمهام سامية في إدارة بايليك الشرق فمن " قائد للعواسي " أكبر القبائل في شرق البلاد إلى منصب "الباي" لبايلك الشرق بكامله ، فضلا على استخواله لعائلة ابن قانة التي كانت لها مشيخة عرب الصحراء والتي تعتبر من أكبر البيوتات بالصحراء الشرقية وأوسعها نفوذا على مختلف القبائل البدوية لنفس المنطقة[2].

ظهور الأمير يعبر عن عهد جديد بفضل اختياره المقاومة على الإستسلام ذلك راجع لصدق وطنيته، عكس الأتراك اللذين أظهروا بالفعل قلة شعورهم بالإنتماء إلى هذا الوطن، فإن أحمد باي كان جزءا من هذا النظام لكن بمقاومة المستعمر الفرنسي يكون قد عبر عن انشغاله بالحاضر واهتمامه بالمستقبل، ويكون بذلك قد أبان هو الآخر وطنيته التي تعد أحسن من وطنية أعمامه الأتراك[3].

(1) محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية ، ط1، تر: حبيب شنيني، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص176.

(2) عبد الحميد زوزو، مراسلات الأمير...، المرجع السابق، ص12.

(3) المرجع نفسه ، ص13.

كما لم يتفق الحاج أحمد باي مع الأمير عبد القادر حيث كان يرى فيه داعيا[1]، متطاولا على السلطة[2]، مستعملا الدين كوسيلة للوصول إلى الحكم[3]، أما الأمير عبد القادر كان يرى نفسه رجل علم وجهاد ويبذل كل ما في وسعه من أجل جعل الأمة الجزائرية أمة واحدة، تعمل بتعاليم الإسلام وتحقق فضائل أهل القرون الأولى للهجرة بعد إيقاظها من الغفلة، غير أنه ظل ينظر إلى أتراك الجزائر على أنهم سبب كل المحن والمآسي التي نزلت بالبلاد، وكان متيقن من ضعف الأتراك الأمر الذي يفسر موقفه من الكرغلي الحاج أحمد باي الذي كان في نظره لا يختلف عن بقية الأتراك الآخرين الذين ألقى عليهم ما حل بالجزائر من سوء العقبى وويلات الإستعمار[4].

فأحمد باي الذي ينحدر من أب تركي وأم جزائرية والذي يعرف بحبه للسلطة والمال والجاه ولاعتقاده بتفوق الأصل التركي حضاريا بين الشعوب الإسلامية كان لا يروف له أن يشاهد العربي في السلطة أو على رأس السلطة، ولو كان ذلك عن طريق الشورى من خلال المبايعة بالإمارة[5].

فأحمد باي هو ممثل للسلطة العثمانية في الجزائر بعد استسلام " الداي حسين "، أما الأمير فهو قائد أوجدته الأحداث وأفرزته المواقف والظروف التي أحاطت بالبلاد بعد دخول قوات الغزو إلى الجزائر، فقد استمد الأمير عبد القادر سلطته السياسية عن السلطة الدينية التي كان يتمتع بها والده، الشيخ محي الدين شيخ الطريقة القادرية بغرب البلاد[6].

---

(1) كمال بيرم، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الإحتلال الفرنسي (1840-1954م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد لميش، جامعة منتوري قسنطينة،(2010،2011م) ، ص25.

(2) كمال بيرم، الإحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، دراسة وثائقية في انتصاب الإحتلال والمقاومات الشعبية وإدارة الأهالي (1838 - 1954م)، مطبعة بريز مارين، الجزائر، 2013م، ص33.

(3) أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، المصدر السابق، ص146.

(4) صالح فركوس، المختصر...، المرجع السابق، ص166.

(5) رابح لونيسي، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص139.

(6) عمار قليل، المرجع السابق، ص52.

كان الباي ينظر للأمير "كداعية للسلطة" وذلك لأنه لم يكن ينتمي للطبقة الحاكمة من الأتراك والكراغلة التي ينتمي إليهم الباي، وهذا ما جعله في نظر الباي غير أهل للسلطة والقيادة، عكس الأمير الذي ينظر للسلطة العثمانية نظرة عداء، بسبب موقفها من والده، خصوصا باي وهران حينما منعه في البداية من السفر إلى الحج وضيق عليه كثيرا وكان يخشى من تجمع الناس حوله، لذلك كانت نظرة الأمير لأحمد باي نظرة لبقايا السلطة العثمانية التي كان يتمنى زوالها وكانت نظرته للباي أحمد هي نفس نظرته للباي حسن في وهران أي التخلي عنه تماما ولعله كان يعتقد أن أهل قسنطينة سيسرعون للإعتراف به والإنضمام إليه بعد سقوط الحاج أحمد باي كما أسرع أهل وهران إليه بعد سقوط الباي حسن[1].

فنجد أن الإنتماء العرقي قد أحرز فرق بين الشخصيتين حيث نتج عن اتباع عبد القادر لأسس الإسلام والقوانين المستمدة من القرآن والسنة على حسب المذهب المالكي، معتمد على عصرية شورية تستمد قوتها وشرعيتها من الشعب قولا وفعلا وهي على خلاف أحمد باي الذي كان يحارب باسم السلطان العثماني دون أن يكون واثقا من النصر[2].

ثانيا: الموروث الفكري والثقافي:

يعود العامل الأساسي الذي أدى إلى التفرقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، هو العلاقة القائمة بين المدينة والريف، ويتجلى ذلك في أن المدن الجزائرية يقطن بها أقلية من الأتراك بصفة عامة، والكراغلة بصفة خاصة، كما يسكنها جماعات الحضر وطوائف من اليهود التي كانت من حيث نشاطها الإقتصادي، وإمكانياتها الحربية، وثقلها الديمغرافي مشينة بالنسبة للمجتمع الجزائري آنذاك، خاصة بأن أغلبية السكان تقطن بالأرياف الجزائرية هذا ما جعلها تمتلك قدرات عسكرية فعالة وإمكانيات متفوقة في الجانب الاقتصادي، إضافة

(1) عمار قليل، المرجع السابق، ص52.

(2) عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ...، المرجع السابق، ص267.

إلى نمو ديمغرافي متزايد وهذا كان بطبيعة الحال عكس ما كانت تحتويه المدن الجزائرية التي بقيت إلى مدى طويل منعزلة داخل أسوارها متخوفة من الأرياف المحيطة بها[1].

لقد كان الإختلاف بارزا وواضحا بين أهل المدن والأرياف الجزائرية، أدى إلى إختلاف ظاهري في طرق ومميزات الكفاح التي خاضها كل من الرجلين، فأحمد باي كان من سكان المدينة الجزائرية، فبطبعه أعطانا نموذجا عن مقاومة المدينة، لكن هذه الأخيرة لم تجد صدى الأرياف المجاورة لها، أما بالنسبة للأمير عبد القادر فكانت مقاومته عبارة عن انتفاضة بالدرجة الأولى لسكان الريف الجزائري تمتلك إمكانيات إقتصادية ومعدات عسكرية كانت الأساس والأهم في إستمرار المقاومة طويلا لمدة 17 سنة[2].

فكانت نتيجة لتأثر كل طرف بالبيئة التي ينتمي إليها نتج عنها إختلاف في أسلوب وطريقة الكفاح بين الطرفين، خاصة بما يتعلق بتأثير نوعية نظام الملكية، وطبيعة إستغلال الأرض على استمرار المقاومة وتطورها، كل هذا أدى إلى اشتداد المقاومة واستمرارها وصمودها في المناطق التي استغل سكانها الأراضي، فنجد أن الجهات التي استحوذ فيها موظفو البايلك وحصر المدن على الملكيات الزراعية واستخدموا فيها جموع الفلاحين الفقراء، كسهول وهران ومناطق الهضاب العليا بقسنطينة[3]، حيث نجد أن تواجد الفرنسيين بوهران ومستغانم وأرزيو وعنابة والجزائر والبليدة وقسنطينة نتج عنه السيطرة وبسط نفوذ الفرنسيين بسهولة خاصة على سهول وهران ومتيجة وعنابة ومناطق الهضاب العليا القسنطينة، وعلى عكس ذلك نجد بأن الفرنسيين قد واجهوا صعوبات كبيرة ومقاومة شرسة في إخضاع كل من وهران ونواحي التيطري وبايلك قسنطينة، فلو أن مناطق غريس وتلمسان وسرسو والمدية وزكار امتلك أراضيها البايلك ووضع عليها سكان المدن أيديهم لتغيرت طبيعية كفاح الأمير

(1) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص209.

(2) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص102.

(3) ناصر الدين سعيدوني، العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، مجلة دراسات تاريخية، المجلد1، العدد2، ص61.

عبد القادر وصعب عليه تجنيد السكان وتنظيم المقاومة وكانت قد انتهت مقاومته بعد استيلاء كلوزيل (clousel) على المعسكر في 6 ديسمبر 1835م، ودخوله تلمسان في 13 جانفي 1836م، ونفس الشيء ينطبق على أحمد باي لو عرفت الأوراس والزيبان نفس نظام الملكية الذي كان سائدا في الهضاب العليا، كما وجد أحمد باي ملجأ أمينا ومكانا ملائما لإستمرار المقاومة بعد سقوط قسنطينة، فكان الاختلاف بين الرجلين بارزا، أساسه عدم الثقة بين سكان المدن والأرياف، حيث نجد أن المدن الجزائرية بقيت غالقة على نفسها منطوية داخل حيطانها في انعزال عن الريف المحيط بها، بينما نجد أن الريف ظل يفتقر إلى دعم تلك المدن وخيراتها خاصة في مجال الصناعة الحربية[1].

وقد بعث أحمد باي رسالة إلى حسين باشا طرابلس كلمه فيها عن سقوط قسنطينة وأعطى له نظرة سكان المدن نحو أهالي الريف، وأظهر كذلك تشككه في قدراتهم على مواصلة الكفاح قائلا: «أننا إن مكثنا بالبادية وطال الأمر عنا يحصل لهم الملل والوطن دخلته رائحة الكفر وأهل البرادي ضعفاء القلوب لاسيما وابن محي الدين وهو الآن في إعانة العدو». فأحمد باي كان مقتنعا بأن لا يستنجد بشيوخ الطرق ورجال الزوايا في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون يخططون للقضاء عليه[2].

فحسب أحمد باي لا يمكن أن نعتمد على صد الفرنسيين على سكان المدن بل من الضروري أن تقوم على أساس أهالي الريف المتمتعين بالإستعداد النفسي والحماس الديني، فلو أن الأمير عبد القادر إعتمد في مقاومته على مناعة أسوار معسكر وتلمسان وملیانة والمدية واطمأن إلى حصانة أبراج تاقدامت وبوغار وتازة وسدو لانتهى نشاطه الحربي، واختفى أثره إثر الهجمات الفرنسية[3].

(1) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص209.

(2) ناصر الدين سعيدوني، العلاقة...، المرجع السابق، ص62.

(3) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق...، المرجع السابق، ص104.

ثالثا: التدبير السياسي والدبلوماسي:

يعتبر الجانب السياسي من بين العوامل التي تحكمت في العلاقة التي كانت بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي ودفعت كل طرف من معاداة الآخر حيث يرجع ذلك إلى عدة عوامل أبرزها:

- تجاهل الأمير عبد القادر للحاج أحمد باي من خلال الوجهة التي قام برسمها لنفسه ولتحركاته خاصة بعدما إتجهت أنظار أحمد باي للشرق وحرصه للإبقاء على الولاء للباب العالي[1]، حيث نجد أن أحمد باي كان يعتقد أنه بإمكانه إنقاض الناحية الشرقية وحصر الخطر الفرنسي في سواحل البلاد والجهات الوسطى الفرنسية من الجزائر وذلك من خلال الإتصال بحكام وهران والمدية والتنسيق معهم وتنظيم القوة التركية المتواجدة بحصون شرشال والقليعة ومليانة والبليدة وغيرها[2]، نجد أن أحمد باي لم يقم باستغلال كل الظروف السياسية لخدمة مصالحه ودعم المقاومة الجزائرية خاصة أنه كان بإمكانه أن يقوم بجمع القوة التركية ويدافع عن إقليمي دار السلطان والتيطري بعد إستسلام الداي حسين، حيث أراد الرجوع إلى قسنطينة مكتفيا بجماعات الكراغلة الملتحقة به وبتشجيع العائلات التركية له، كما لم يحاول التدخل في قضية كراغلة تلمسان أو كراغلة واد الزيتون رغم أنهم قبلوا الإنضمام إليه وتعاطفوا معه كما لم يتعرف حتى على تطور الأمور ببايلك الغرب في الوقت الذي بدأ أمر الأمير يتعاظم ونفوذه يتسع، فأحمد باي هنا تجاهل كل القوى الجديدة التي برزت في الميدان للتصدي للفرنسيين، ومن جهة أخرى لم يحاول الدخول في علاقات سياسية ومحالفات عسكرية مع ولاة طرابلس وحتى بايات تونس لتدعيم مكانته وقطع الطريق أمام كل محاولة فرنسية هادفة على عزل الجزائر من نطاقها المغربي وبعدها الإسلامي ومجالها العثماني[3]. فنجد أن عدم تحرك

(1) عبد الحميد زوزو، مراسلات...، المرجع السابق، ص15.

(2) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات...، المرجع سابق، ص105.

(3) ناصر الدين سعيدوني، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ص213.

أحمد باي في الوقت المناسب لمواجهة تلك الأوضاع سمح هذا الأمر لبايات تونس بخلق سياسة ملئ الفراغ لما تعيشه البلاد الجزائرية بفعل إنهيار حكم الدايات بعد أن أوهمهم القنصل الفرنسي بتونس دي لسبس (de lesseps) بمشاريع خيالية وأظهر لهم موافقة الجنرال كلوزيل (clousel) على حكم مقاطعتي قسنطينة ووهران من طرف أفراد من الأسرة الحسينية الحاكمة بتونس، حيث كان الجنرال الفرنسي في سياسته هذه يرمي إلى تطبيق أسلوب علمي لإحتلال الجزائر يتضمن في ظاهره على إتفاق فرنسي تونسي وفي باطنه يرمي إلى ضمان حكم الجزائر واستغلالها من طرف الفرنسيين دون أن تحمل نفقاتها مما يسمح هذا بإجراء مفاوضات بين الحاكم الفرنسي للجزائر كلوزيل (clousel) وضابط القصر التونسي محمد شولاق ورفيقه حسونة[1] في شهر أكتوبر 1830م وانتهى الأمر بهذه المفاوضات إلى صياغة بنود المعاهدة في 18 ديسمبر 1830م التي بقيت حبرا على ورق، ولم يكتب بها أي نجاح[2].

فنجد أن مساعي أحمد باي الدبلوماسية قد تركزت على الإتصال بالحكام العثمانيين في محاولة توثيق الصلات مع السلطان وعلى عقد صفقات تجارية مع الانكليز بواسطة ممثلهم في تونس السيد توماس ريد الأمر الذي لم يؤثر بصورة ملموسة على تطور الأحداث في الجزائر[3].

أما بالنسبة إلى موقف الأمير عبد القادر سياسيا فهو يبتعد كل البعد عن موقف أحمد باي حيث نجد أن تقرب الأمير عبد القادر من المغاربة وتمكنه من تحطيم مخططات الفرنسيين الرامية إلى جر المسلمين لقتال بعضهم بعض فعمل على التقرب من المغاربة وتمكن بالفعل من الحيلولة دون حدوث تقارب مغربي فرنسي نجد أنه قد تسبب بصورة غير مباشرة في احتكاك فرنسي ـ مغربي إثر دخول الجيش المغربي للأراضي الجزائرية في 13

(1) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات، المرجع السابق، ص105.

(2) ناصر الدين سعيدوني، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ص213.

(3) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات، مرجع السابق، ص106.

نوفمبر 1830م إستجابة لنداء سكان تلمسان وردا على رسالة الوزير الفرنسي " أبي عبد الله بن إدريس" الذي بعثها إلى قائد وجدة في 30 أكتوبر 1830م يعلمه فيها بقرب وصول الكتيبة التونسية لتتولى حكم الإقليم وتنظيم شؤونه عملا بالإتفاق التونسي الفرنسي[1]، إضافة إلى ذلك تجدر بنا الإشارة إلى معاهدة تافنة فإن أحمد باي قد إعتبرها عملا منافيا له ورأى فيها بأنها مؤامرة ضده تهدف للقضاء عليه في الجهة الشرقية وهذا ما دفع هذا الأخير إلى التشهير بالأمير بأنه متواطئ مع الفرنسيين وعلى أنه متعامل مع العدو من أجل إلحاق الضرر به فقدم رسالة قام بتوجيهها إلى " كمال باي" الذي يعتبر أحد أعيان الدولة العثمانية في شهر جوان من عام 1837م أي بعد حوالي شهر من عقد معاهدة التافنة ، أبدى أحمد باي رأيه في هذه المعاهدة بقوله: «إن العدو أبرم السلام مع عبد القادر... وأخذ شروط هذا السلام أن عبد القادر متفق تماما مع العدو على القضاء على كل أثر لسلطتي بالبايلك»، كما وجه رسالة إلى الباب العالي في أواسط شهر جانفي 1838م إثر التجائه إلى الأوراس لمواصلة الكفاح أكد نفس هذا الموقف إذ ذكر أن: «عبد القادر إنضم إلى الفرنسيين قائلا لهم إذا منحتموني قسنطينة ومقاطعتها فإني آتي لكم بالحاج أحمد حيا وقد أجابه الفرنسيون عندما تسلم لنا الحاج أحمد فسوف نعطي لك قسنطينة ومقاطعتها»[2].

فقد كان إتفاق الأمير مع الفرنسيين قد أشعر أحمد باي بأنه لم يعد الشخصية المؤهلة لتصدى الأحداث وتزعم المقاومة أو القادرة حتى على جلب إنتباه الدول الأوروبية وهذا ما يعطي الأسبقية للأمير باعتباره الممثل الوحيد والزعيم الحقيقي لكل الجزائريين والخصم القوي الجدير بالإعتبار في نظر العدو، فنجد أن هذا ما ساعد إلى حد كبير إلى إخراج القضية الجزائرية نهائيا من حيز الدولة العثمانية لتأخذ بعدا دوليا وطابعا جزائريا محصنا[3].

(1) ناصر الدين سعيدوني، العلاقة بين...، المرجع السابق، ص64.

(2) المرجع نفسه ، ص66.

(3) ناصر الدين سعيدوني، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ص217.

كما لا يمكن لنا أن ننفي بوجود عوامل وأسباب أخرى دفعت كل طرف من معادات الآخر سياسيا منها:

- تفوق الإستراتيجية الإستعمارية في تحقيق ما آلت إليه و تحقيق المساعي والأهداف الرامية إلى سياسة فرق تسد وذلك من خلال كسر كل طموح، كل وجهة، كل هدف رامي إلى تحقيق الوحدة بين الشخصيتين، ومنه فقد عمل الماريشال فالي(valee) من تحقيق هدفه وقام بمفاوضة الباي أحمد وقام بعرض عليه منصب باي بشرط أن لا يقوم بوحدته مع الأمير عبد القادر، إضافة إلى ذلك قيام الماريشال بيجو(bugeaud) إلى التوصل لعقد إتفاقية مع الأمير التي كانت في 20 ماي 1837م التي كان مسعاها التفرغ لإحتلال مدينة قسنطينة فكان مرمى الإتفاقية الأول هو تأكيدها لأحمد باي بأن هذه الإتفاقية تهدف إلى ضربه[1] لأن الأمير قد علم بخطة الفرنسيين نحو قسنطينة ولم يتدخل لأنه كان يعتقد أن نجاحها سيزيل عنه منافسا خطيرا[2].

المبحث الثالث: إنعكاسات العلاقة على المقاومة:

أولا: توقيع معاهدتي الأمير عبد القادر مع فرنسا وموقف الباي منها:

- **من وجهة نظر الأمير:**

أعطت كل من معاهدتي دي مشيل والتافنة فرصة للأمير من أجل العمل على تكوين جيش عصري من جهة وليحضر نفسه لمعارك أخرى من جهة ثانية[3]، من خلال بناء دولة ذات كيان سياسي وعسكري[4].

كانت معاهدة التافنة في نظر الأمير عبد القادر بمثابة إنتصار كبير حقق بها السلام الذي كان يسعى إليه بشق النفس والإعتراف بسلطته وسيادته على معظم القطر الجزائري ضمنيا وعلى إقليمي وهران والتيطري، وقد جعلته المعاهدة يكون القوة الكبرى الوحيدة التي

(1) صالح فركوس، المختصر... ، المرجع السابق، ص166.

(2) أبو القاسم سعد الله، محاضرات... ، المصدر السابق، ص146.

(3) عمار قليل، المرجع السابق، ص51.

(4) بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص224.

على العدو التعامل معها في الجزائر، والتي فتحت له أبواب التعامل القنصلي والتجاري مع الفرنسيين فكان يعتقد بأنه لا أحد غيره سيحكم إقليم قسنطينة بعد سقوط الحاج أحمد ذلك لأن أهل الشرق الجزائري سيلجأون إليه وحده كسلطان عليهم وأمير المؤمنين فلا باي تونس ولا السلطان العثماني قادر على أن يحل محله، وقد أخذ في مراسلة الأعيان في الإقليم الشرقي كما عرفنا بأنه قد طالب منهم الدخول في طاعته[1].

فكانت معاهدة التافنة بالنسبة للأمير عبد القادر نقطة تحول حاسمة في المقاومة بالغرب الجزائري حيث اعتبرت هذه الأخيرة بمثابة إنطلاقة جديدة في المفهوم الوطني والخروج من الحيز الجغرافي الضيق والمحدود الذي تميز بأشكال المقاومة في المناطق الأخرى[2].

- **من جهة نظر أحمد باي:**

كانت نتيجة توقيع معاهدة دي ميشيل التي أبرمت بين الطرفين في 26 فيفري 1834م (الطرف الفرنسي والطرف الجزائري الممثل في الأمير عبد القادر) أن جعل الحاج أحمد باي يشمئز من هذا التقارب الذي إعتبره هو بأنه لا يخدم المصلحة الوطنية، وما زاد في شرخ العلاقات بين الحاج أحمد باي والأمير هي معاهدة التافنة التي أبرمها هذا الأخير مع فرنسا في 30 ماي 1837م والتي إعتبرها الحاج أحمد باي خيانة كبرى وهذا ليس بالنسبة لمقاومة الشرق الجزائري فحسب وإنما عمت وشملت الجزائر كلها لأنها أتاحت الفرصة للفرنسيين من جمع قواتهم للقضاء على المقاومة الجزائرية مرحليا لذا نظر إليها الحاج أحمد باي على أنها عمل عدائي ضده بالدرجة الأولى[3].

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص181.

(2) المصدر نفسه، ص181.

(3) بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص223.

فقد كانت معاهدة التافنة بالنسبة لأحمد باي بمثابة الخسارة الكبرى والعمل العدائي الذي تَكَوَنَ ضده، ذلك أنها أطلقت يد جيش العدو في الشرق لكي يتأثر لهزيمته السابقة[1]، فكان هنا الباي على إدراك تام بأن عدوه الخطير هو الأمير ، الأمر الذي أضاح له بأن سياسة الإستعمار مبنية على قاعدة هي "فرق تسد" مبدأها أن يتصارع زعماء المقاومة فيما بينهم[2].

وما زاد من شك أحمد باي في الأمير أن هذا الأخير أعلن من جانبه بوضياف بن بوراس الذي يتمتع بنفوذ قوي بالحضنة ولاءه للأمير إذ كان لوقت قصير، وقام الأمير بتعينه آغا على منطقة الحضنة وكلف الأمير كل من بوضياف وخليفته بالحضنة البركاني بمهمة إلى الزيبان مع تعزيزهما بوحدات مع الجيش[3].

كان أحمد باي يرى بأن عقد إتفاق مع العدو يمثل الجانب السياسي السيئ الذي كان له عواقب وخيمة على مجمل المقاومة الجزائرية حيث كان ذلك أول خطا خطير إرتكبه الأمير[4]، وما زاد من تفاقم الوضع هو الإتصال الذي أجراه الأمير عبد القادر بأهالي قسنطينة إثرى المعاهدة الأخيرة وأخبرهم أنه متفق مع الفرنسيين هذا الأمر أخاف أحمد باي منه فقد هدده الأمير قائلا له بأنه سيهاجم قسنطينة مع الفرنسيين إن لم يستسلم له (أحمد باي)[5].

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة... ، المصدر السابق، ص182.

(2) أبو عمران الشيخ، قضايا في الثقافة والتاريخ، ط3، منشورات ثالة ، الجزائر ،2007م ، ص94.

(3) كمال بيرم، الإحتلال الفرنسي ... ، المرجع السابق، ص33.

(4) محمد الشريف السحلي، الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص177.

(5) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر... ، المصدر السابق، ص146.

فعقد معاهدة الأمير مع الفرنسيين (معاهدة دي ميشيل) لم تكن أبدا في مصلحته لأن فرنسا هنا تبحث عن كسب الوقت لتجمع قواها وتنظم صفوفها من جهة[1]، ومن أجل خلق النزاع بين أطراف وزعماء المقاومة من جهة أخرى لأن غايتها الأولى خنق المقاومة[2].

أما بالنسبة للموقف العثماني من المعاهدتين فكان سلبيا مباشرة بعد عقد الأمير عبد القادر معاهدة التافنة، حيث يعتبر الأمير عبد القادر في نظر الدولة العثمانية أحد رعايا السلطان وإمضاء تلك المعاهدة كان أولى لها عقدها مع الحكومة العثمانية. فعمل " نوري أفندي" على عرقلة تلك المفاوضات الحاصلة بين الفرنسيين وعبد القادر واعتبرها أمرا منافيا حيث قدم رسالة إلى "الكونت مولي" وزير الخارجية الفرنسي في 26 أوت 1837م، إن عقد معاهدة مع شيخ عربي مثل عبد القادر يعد عملا منافيا لعظمة فرنسا, فكان لعقد المعاهدتين آثار سلبية منها في 24 أكتوبر 1840م عندما طلب الأمير عبد القادر إلى الباب العالي لبعض الإعانات والمساعدات رغم تعدد تلك المحاولات من طرف الأمير عبد القادر التماسا منهم يد العون ضد الكافر إلا أنهم رفضوا تلك الإعانة[3].

ثانيا: حصار قسنطينة:

قد خلف حصار قسنطينة في شهر نوفمبر 1836م[4]، وسقوطها في 13 أكتوبر 1837م على يد الفرنسيين[5] إنعكاسات أدت إلى توتر العلاقة بين أحمد باي والأمير عبد القادر، حيث حاول الأمير أن يبين وجهة نظره ويبرر موقفه السلبي من حصار قسنطينة

(1) حليم ميشال حداد، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس ، الجزائر)، موسوعة البلدان العربية، مؤسسة محمد علي ، [د ، م ن]، 1998م، ص140.

(2) أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص94.

(3) عبد القادر سلاماني، الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة (1832 -1847م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، قسم التاريخ والآثار، (2008- 2009م)، ص157.

(4) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص81.

(5) Augene Vayssettes, Histoire de Constantine sous la domination turque 1514. 1837 présentation de ouarda siari tengour édition Bouchéne 2002, p7.

الأولى، أنه كان يعتبر أن الحملة الفرنسية التي إنطلقت لمحاصرة قسنطينة[1]، بقيادة الحاكم العام كلوزيل (clausel) الذي عزم على قيادتها في خريف عام 1836م، لا تشكل له أي معارضة مع مصالحه سواء في حالة نجاحه أو فشله[2]، فكان حسب رأيه إذا تمكن الفرنسيين من محاصرة قسنطينة وإلحاق الهزيمة بأحمد باي فهذا يعتبر في صالحه لأنه تخلص من عدوه من دون حدوث أي تضحيات، وهنا يصبح بإمكانه مد نفوذه على بايلك الشرق والحصول على كسب ولاء قبائل الجهات الشرقية من الجزائر، وفي حالة فشل المخطط الفرنسي الهادف لمحاصرة قسنطينة، وتمكن أحمد باي من إلحاق الهزيمة بالجيش الفرنسي هنا يصبح موقف الأمير أكبر قوة وعزم لتصدي العدو الفرنسي [3].

وكان موقف الأمير عبد الأمير سليما في أساسه ولكنه في نفس الوقت كان يحتوي على مجازفة خطيرة تعود بالخطر على مقاومة الأمير عبد القادر نفسه، حيث كان توجه الفرنسيين نحو أسوار قسنطينة في أواخر خريف عام 1836م، أدى إلى توقيع معاهدة تافنة التي كانت أغلب بنودها في صالح الأمير عبد القادر حيث ساعدته، إذ أنها سمحت له بتقوية جيشه وتنظيم دولته وفي نفس الوقت أعطت للفرنسيين فرصة بأن يركزوا قواتهم وجهودهم من أجل القضاء على مقاومة أحمد باي[4].

ولقد كان موقف الأمير عبد القادر من محاصرة قسنطينة يشكل نقطة ضعف لأنه كان يمثل موقف متفرج عند حصول عدم التوازن في ميزان القوى في الجزائر، لأنه قد اختفى الخصم الضعيف للأمير وهو أحمد باي وبقي الخصم القوي المتمثل في الفرنسين[5], حيث كان يجب أن يبقى أحمد باي مصدر قوة في الشرق الجزائري تشغل فرنسا وتلزمها على

(1) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص272.

(2) مراد سعودي، الإستراتيجية العسكرية للقادة الفرنسيين في الجزائر (1830، 1870م)، دراسة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر والعالم المعاصرين، إشراف: إلياس نايت قاسي، المدرسية العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، (2016-2017م)، ص75.

(3) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص272.

(4) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص67.

(5) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص273.

مهادنة الأمير، ومن خلال هذا الوضع تفطن الأمير إلى شدة الخطورة التي تشكل على هذا الوضع ومنها أصبح يتدارك ذلك لكن بعد فوات الأوان لكنه لم يستطع التحكم في زمام الأمور حيث وجد نفسه في مواجهة خصم قوي، ولم يتمكن من إرغام الفرنسيين على التراجع إلى مدينة الجزائر في أواخر شهر نوفمبر 1839م[1]، حيث لم يطل به الأمر في مواجهة العدو الفرنسي فوجد نفسه مرغما على الإستسلام والإنسحاب من المدن والمراكز التي كانت تحت سيطرته واللجوء إلى حرب العصابات، وفي الأخير بعد حدوث مقاومة بطولية كبيرة لجأ إلى المغرب من أجل طلب يد العون عام 1846م[2]، لكن في المقابل لم يتحقق ذلك لأن الفرنسيين قاموا بالضغط على المغرب من أجل إبعاده واستسلامه لهم[3].

ثالثا: علاقة أحمد باي والأمير عبد القادر بالباب العالي.:

أما فيما يتعلق بمحاولة كل من أحمد باي والأمير عبد القادر ربط الصلات وتوثيق العلاقات مع الباب العالي كل منهما على حساب الآخر، نجد تميز الحاج أحمد في تحقيق مساعيه التي تكمن في إبقاء صلات البلاد الجزائرية بالباب العالي باعتباره أحد رجال البايلك السابقين الذين ظلوا مخلصين للدولة العثمانية، وقد اقتصر تأييد الدولة العثمانية لأحمد باي بعد لجوءه إلى الجنوب القسنطيني بعد دخول الفرنسيين قسنطينة على توجيه الرسائل والتشجيع والإيعاز إلى باي تونس لتقديم ما يراه ممكنا من المساعدة[4].

إن مسألة تدخل الباب العالي بقسنطينة لرد الإحتلال الفرنسي قد نوقشت كثيرا بديوان الحكومة، ففي 07 أفريل 1836م[5]، أرسل " كيميل باي " عقيد بالفيلق الثاني التركي في مهمة إلى قسنطينة حيث وصلها في شهر جويلية فمهمة هذا العقيد كانت عبارة عن مجرد

(1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص68.

(2) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص273.

(3) عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص72.

(4) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات... ، المرجع السابق، ص110.

(5) صالح فركوس، المختصر...، المرجع السابق، ص167.

وعود قدمها الباب العالي إلى الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر[1]، فإذا استطاع إخراج المستعمر يسند منصب الخليفة لكل منهما على التوالي بايلك قسنطينة وبايلك الجزائر، هذا في الوقت الذي كانت تحاول فيه الخلافة تبديد الخلافات والنزاعات بين الرجلين وتقريب وجهات نظرهما ولكن بدون جدوى[2].

فقد كان أحمد باي أثناء سعيه لإكتساب التأييد والعون من طرف الدولة العثمانية محاولة إظهار الأمير عبد القادر في صورة الشخص المعادي للباب العالي والمتواطئين مع فرنسا[3]، فالأمير لم يعترف بالسلطان العثماني في بدء جهاده على عكس الحاج أحمد الذي كان يعبر عن إرتباطه للسلطان مما نتج عنه بتفكير الباب العالي في تعيين أحمد باي واليا على الجزائر إذا ما نجحت مساعي الباب العالي لإسترجاع البلاد[4].

لقد إتخذ أحمد باي طريق لتشويه صورة الأمير عبد القادر من خلال المعاهدات التي وقعها مع العدو (معاهدة دي ميشيل 26 فيفري 1834م ومعاهدة التافنة 30 ماي 1837م) حيث أرسل رسالة إلى "كمال باي" الذي هو أحد أعيان الدولة العثمانية في جوان 1837م، جاء فيها: "بأن العدو الفرنسي قد أبرم إتفاقا مع الأمير عبد القادر وقد قيد بشروط قاسية لا تخدم المصلحة العامة وبالتالي فإن الأمير عبد القادر متفق تماما مع العدو للقضاء على كل أثر لسلطة الحاج أحمد باي في الإقليم الشرقي"، وفي رسالة أخرى وجهها إلى الباب العالي شرح فيها بالتحديد موقف الأمير عبد القادر وما قام به من تقارب واضح مع العدو الفرنسي ضده بقوله: «إن الأمير عبد القادر إنضم إلى الفرنسيين أملا في الحصول على قسنطينة ومقاطعاتها مقابل أن يأتيهم الحاج أحمد باي حيا، وقد رد الفرنسيون على طلبه هذا

(1) صالح فركوس، موسوعة التاريخ...، المرجع السابق، ص220.

(2) صالح فركوس، الحاج أحمد باي...، المرجع السابق، ص65.

(3) إسماعيل العربي، المقاومة...، المرجع السابق، ص276.

(4) عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق...، المرجع السابق، ص198.

بالقبول»[1]، كما قال: «الوطن دخلته رائحة الكفر وأهل البوادي ضعفاء القلوب لاسيما أن ابن محي الدين الأمير عبد القادر وهو الآن في إعانة العدو»[2].

فنتيجة تخوف الساسة العثمانيين من كفاح عبد القادر ودفعهم إلى محاولة التوصل إلى إتفاق مع الفرنسيين تسترد الدولة العثمانية بموجبه الجزائر بالطرق السلمية والأساليب الدبلوماسية، ونتيجة إمتناع الحكومة الفرنسية عن الدخول في مفاوضات مع الباب العالي فإن الممثلين في العواصم الأوروبية ظلوا يصرون على عدوانهم للأمير وكانوا يحاولون دفع الفرنسيين إلى عدم الإعتراف به أو التفاوض معه[3]، فقد كاتب السفير العثماني "نوري أفندي" يطلب مقابلة وزير الخارجية "الكونت مولي"، وفي تصريح لنفس السفير "رشيد باي" توجه إلى "الكونت مولى" وعبر عن موقف الباب العالي من كفاح الأمير بهذه العبارات: «إن عقد معاهدة مع شيخ عربي مثل عبد القادر يعد عملا منافيا لعظمة فرنسا وردا على ذلك أوضح الكونت أن حكومته حرة في التصرف الذي أنشئوه»[4].

ومع هذا فقد كان الموقف عدائي من طرف الدولة العثمانية لجهاد الأمير عبد القادر فإن الظروف اضطرت الأمير بعد نقض معاهدة التافنة وتجدد الحرب مع فرنسا منذ 20 نوفمبر 1839م إلى الإتصال بالسلطان العثماني أملا في نيل العون والحصول على المساعدة محاولا عرض وجهة نظره من الأحداث وموقفه من أحمد باي خاصة[5]، وذلك من خلال[6]:

1. وجه الأمير عبد القادر مسؤولية ما حل بالبلاد الجزائرية التي كانت بدايتها الوجود الإستعماري إضافة إلى ما أصاب سكانها من المضرة وعناء على الحكام الأتراك الذين

(1) بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص224.

(2) عمار قليل، المرجع السابق، ص52.

(3) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات... ، المرجع السابق، ص111.

(4) ارجمند كوران، السياسة العثمانية إتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر (1827 ، 1847م)، ط2، نق: عبد الجليل التميمي، تونس، 1974م، ص71.

(5) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات... ، المرجع السابق، ص112.

(6) ناصر الدين سعيدوني، العلاقة بين لأمير..، المرجع السابق، ص70 .

تولوا شؤون البلاد قبل الإحتلال خاصة الجيش الانكشاري الذي ظلم الكثير من سكان البلاد واستبد بالأمور، فذكر في رسالته الأولى التي أرسلها للسلطان عبد المجيد والمؤرخة في 26 ديسمبر 1838م «إن النيشارية (الإنكشارية) الذين كانوا بالجزائر كما خرجوا على طاعة أمير المؤمنين والدك المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم وسلط عليهم من لا يرحمهم العدو الكافر الغشوم فبدد شملهم واجتث أصلهم وملك القرى والمدائن، كما تعرض في نفس الرسالة إلى الاضطهاد الذي كان مسلطا على القرى والمدائن».

2. قام بالدفاع عن زعامته وجدارته من أجل تولي حكم البلاد والدفاع عن المقدسات والحرمات وما يدل على هذه الفترة ما تضمنه خطابه للسلطان: «إن الناس إحتاجوا إلى من يضبط جهادهم ويقوم بجمع أمرهم ويجمعهم ويجمع ما به من قوام جهادهم و يتكلف سياسة خاصتهم» وفي فترة أخرى يؤكد ذلك ويظهر وحدة الشعب الجزائري وتآلفه بقوله: «إن كلمات المسلمين اجتمعت من حدود طاعة الشرفاء إلى حدود تونس وانتفى منها كل شر ولم يبقى إلا ما يسر تونس»

3. قام بمحاولة تبرير موقف قبوله للهدنة مع الفرنسيين من خلال معاهدة دي ميشيل 26 فيفري 1834م ومعاهدة التافنة 30 ماي 1837م فأوضح أوجه الخلاف بينه وبين الفرنسيين وفي الوقت ذاته الهدف من عقده للمعاهدتين بكل وضوح وذلك من أجل التخفيف من حالة السخط والإنزعاج السائدة في الأوساط السياسية للدولة العثمانية. حيث ذكر في خطابه للسلطان عبد المجيد ما يلي:«لم أكن متفقا مع الفرنسيين ولم يقع ذلك البتة وحسب مبادئ الإسلام يسمح باستعمال الحيلة والمداهنة مع العدو وهذا ما قمت به إتجاه الفرنسيين».

4. قام بنفي الإتهامات التي وجهها أحمد باي له خاصة إتهامه بأنه يتواطأ مع الفرنسيين ضده ولمح إلى عجز أحمد باي عن التصدي للعدو، وذلك في معرض شرح موقفه من قضية قسنطينة بقوله "ولما أخذ الكافر قسنطينة من يد الحاج أحمد ولم يبقى في مقابلته من ذلك الوطن أحد وقع الذي بيننا على تلك الإيالة" وهذا ما جعل الفرنسيين يعارضون

المسؤولية في ذلك على أحمد باي حيث تدل على ذلك هذه الفقرات من رسالة الأمير: «فالكافر يحتج بأخذها من يدي غيرنا وأنه أفنى عليها أمواله ورجاله ونحن نقول: المسلمون جسد واحد فاترك أمرهم إلينا».

5. قام الأمير عبد القادر كذلك بالسعي للحصول على التأييد الدبلوماسي على الأقل من الدولة العثمانية وذلك حتى يقنع الإنكليز بفائدة التدخل لصالحه لأن حكومة المارستون كانت تتظاهر بتأييد الدولة العثمانية وتبني مواقفها في قضية الجزائر، وقد ذهب به الحال إلى التلميح للإنكليز بإمكانية السماح لهم بالإستقرار بميناء تنس التابع لدولته وكلف مبعوثه الشخصي "العقيد سكوت" (Lecolonel Scot) أن يرسل مكاتباته المتأخرة مع الباب العالي التي هي على الأرجح أربع رسائل عن طريق لندن في شتاء عام 1841م وذلك حتى يقوم بالإطلاع عليها وزير خارجية بريطانيا "اللورد أبردين" (lord aberdeen) ويقوم بتسليمها للممثلين العثمانيين ، لكن إستعراض وجهات النظر هذه ومحاولة التقرب للباب العالي وإكتساب عطف الإنكليز لم تستقر عن أي نتيجة إيجابية, بعد رفض "اللورد أبردين" إستقبال "العقيد سكوت" (Lecolonel Scot) على إعتباره ممثلا شخصيا للأمير عبد القادر، وبعد أن أوضح السفير البريطاني "باستانول السيرستراتفور كايننج" (sihstarford conning) في جوابه عن إستفسار الحكومة العثمانية في حال إتصالات الأمير عبد القادر بالسلطان ضرورة التريث والتعقل وذلك حتى يتمكن من الإتصال بفرنسا والتفاوض معها، وقد ورد هذا الرد من السفير البريطاني الذي أدلى به 21 جوان 1842م بالعبارات التالية: «إن حكومة جلالته ترى في رفض الباب العالي لطلب عبد القادر عملا يتميز بالرزانة والتعقل، فمن دون شك أن كل مساعدة قد يقدمها الباب العالي لعبد القادر سيعرف أمرها في أقرب وقت وستثير نقاشا حادا بين الباب العالي وفرنسا وهذا ما يجب على الباب العالي تجنبه بأي وجه من

الوجوه»[1]، وبالتالي فإتصالات الأمير عبد القادر لم تجد تجاوبا من الحكام العثمانيين وذلك راجع إلى[2]:

1. حالة الضعف والإنهيار الذي فرضته أوضاع الإمبراطورية المتردية، بعد الإنهزام الذي تعرض له جيوش البلقان وتراجع نفوذها بالشام والأناضول.
2. الصراع على الحكم والفساد السياسي الذي طغى السياسة التركية والتنافس من أجل كسب المال والثروات بشتى الطرق من طرف حكام الأتراك بإيالة الجزائر هذا ما جعل الأمير يعتبرهم "أعداء الله مضطهري بني جنسه من العرب".
3. عداء الحكام الأتراك للطرق الدينية حيث تجلى ذلك في عهد الباي حسن الذي اتسمت سياسته بالعجرفة والترفع في تعامله مع شيوخ الزوايا والطرق الدينية.
4. تحميل الأتراك مسؤولية إحتلال الجزائر نتيجة ما حل بالجزائر من سوء التسيير والعقبى وويلات الاستعمار[3].

(1) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات...، المرجع السابق، ص115.

(2) المرجع نفسه، ص115.

(3) صالح فركوس، مواقف الأمير عبد القادر من السلطة التركية والحاج أحمد باي قسنطينة، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، رقم2، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945 ، قالمة ، 2008م , ص 197 ـ 198.

خاتمة

خاتمة:

اعتمدنا في دراستنا لموضوع "العلاقة بين مقاومتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي (1832 ـ 1848م) على جملة من المصادر والمراجع التي من خلالها خلصنا لمجموعة من الاستنتاجات نذكر من أهمها ما يلي:

- تمتع الأمير عبد القادر بن محي الدين بنسب شريف وبصفات خلقية جعلته يتميز عن غيره بمقومات إنسانية خولته لصنع دولة جزائرية قوية تحت أسس إسلامية.
- على الرغم من تعرض الجزائر إلى الاستعمار الفرنسي ومحاولاته لمحو الكيان الجزائري بكل مقوماته وذلك بإصدار مجموعة من القوانين الجائرة في حق الشعب الجزائري والتي آثارها وخيمة كل ذلك لم ينقص من عزيمة الشعب الجزائري بل زادهم قوة وشجاعة وجعلهم أكثر تمسكا ببلادهم والفضل في ذلك راجع لشخصية الأمير عبد القادر العظيمة، وقدرته على تحمل مسؤولية شعبه وأرضه.
- استمد الأمير عبد القادر سلطته من الشعب على عكس المقاومات الأخرى وذلك من خلال مبايعته من طرف سكان الغرب الجزائري، وهكذا ما منحه شرعية الحكم في إقامة دولة تميزت بالتنظيم الاداري، منه تقسيم الدولة إلى ثمانية مقاطعات.
- تعتبر مقاومة الأمير عبد القادر من المقاومات الشعبية الكبرى التي تركت أثرا تاريخيا بليغا في تاريخنا الوطني العظيم.
- أثبت الحاج أحمد باي أنه رجل دولة من خلال سياسته المحنكة في التسيير، وأثبت أنه رجل عسكري من خلال حمل لواء المقاومة لفترة إحدى عشر سنة من الجهاد رغم تعدد الاعتداء.
- إن أحمد باي كغيره من أهل الجزائر تميز بوطنية فائقة النظير، ودليل هذه الوطنية هي الفترة الطويلة التي قضاها في مقاومة الاستعمار الفرنسي دون كلل وملل، وما بذله كل ما يملك لإنجاح مقاومته.

- علمتنا مقاومة أحمد باي أن المحتل الفرنسي لم يهنأ للحظة واحدة على أرض الجزائر، وأنه ذاق الأمرين من أجل تحقيق مقولة "الجزائر فرنسية" وقد بينت مقاومة أحمد باي والمقاومات الأخرى وصولا إلى الثورة التحريرية الكبرى أن الجزائر جزائرية بجذورها البربرية وامتداداتها العربية وارتباطاتها الإسلامية.
- إن مقاومة الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي كانت من أهم المقاومات الشعبية في تاريخ الجزائر، إلا أن توتر العلاقة بين هذين الزعيمين بسبب الخلافات الشخصية والإعتبارات العرقية والميول الإجتماعية أثرت على مسار التاريخ الجزائري الحديث.
- غياب التعاون والتنسيق بين الأمير عبد القادر وأحمد باي في توحيد الصف والجهود سواء بسبب حب الإستئثار بالحكم أو بسبب قصر النظر وسوء التقدير كان هو العامل الرئيسي في فشل المقاومة الجزائرية ضد العدو الفرنسي.
- إن العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي تتأرجح بين العداء والتقارب وهذا أثر بالسلب على توحيد المقاومة وعدم تمكن الأمير عبد القادر من كسب تأييد أحمد باي لإيقاف الزحف الفرنسي وآثاره المدمرة على الاقتصاد والمجتمع والثقافة بالجزائر.
- إن معاهدتي ديمشال والتافنة كان لهما تأثير في توتر العلاقة بين الزعيمين حيث أثرا بالإيجاب على الأمير ببناء دولة ذات كيان سياسي وعسكري في حين أثرا بالسلب على أحمد باي بقضاء العدو الفرنسي على مقاومته.

الملاحق

الملحق رقم (01):

الأمير عبد القادر الجزائري

(1) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 541.

الملحق رقم (02):

صورة توضح (شجرة الدردارة) والتي تحت أغصانها بويع الأمير عبد القادر في 24 نوفمبر 1832م

(1) بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، ج1، ط2، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الوعي، الجزائر، 2012، ص 277.

الملحق رقم (03)

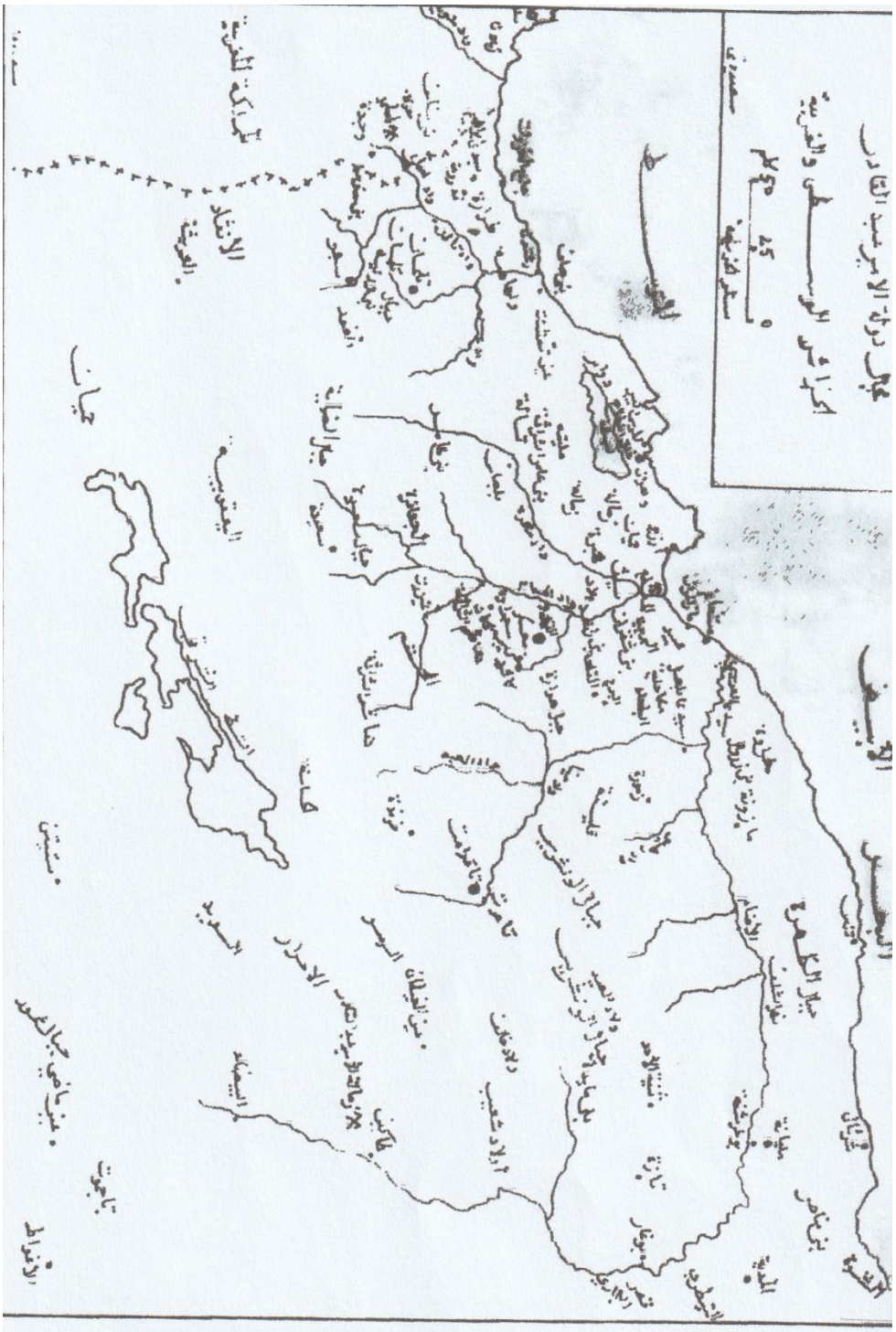

مجال دولة الأمير عبد القادر، الجزائر الوسطى والغربية

(1) ناصر الدين سعيدوني،عصر الأمير... ، المرجع السابق، ص 354.

الملحق رقم (04):

معاهدة دوميشال 1834.

(1) بشير بلاح، المرجع السابق، ص 101.

الملحق رقم (05):

الحاج أحمد باي

(1) عمار بن محمد بوزير، المرجع السابق، ص 37.

الملحق رقم (06):

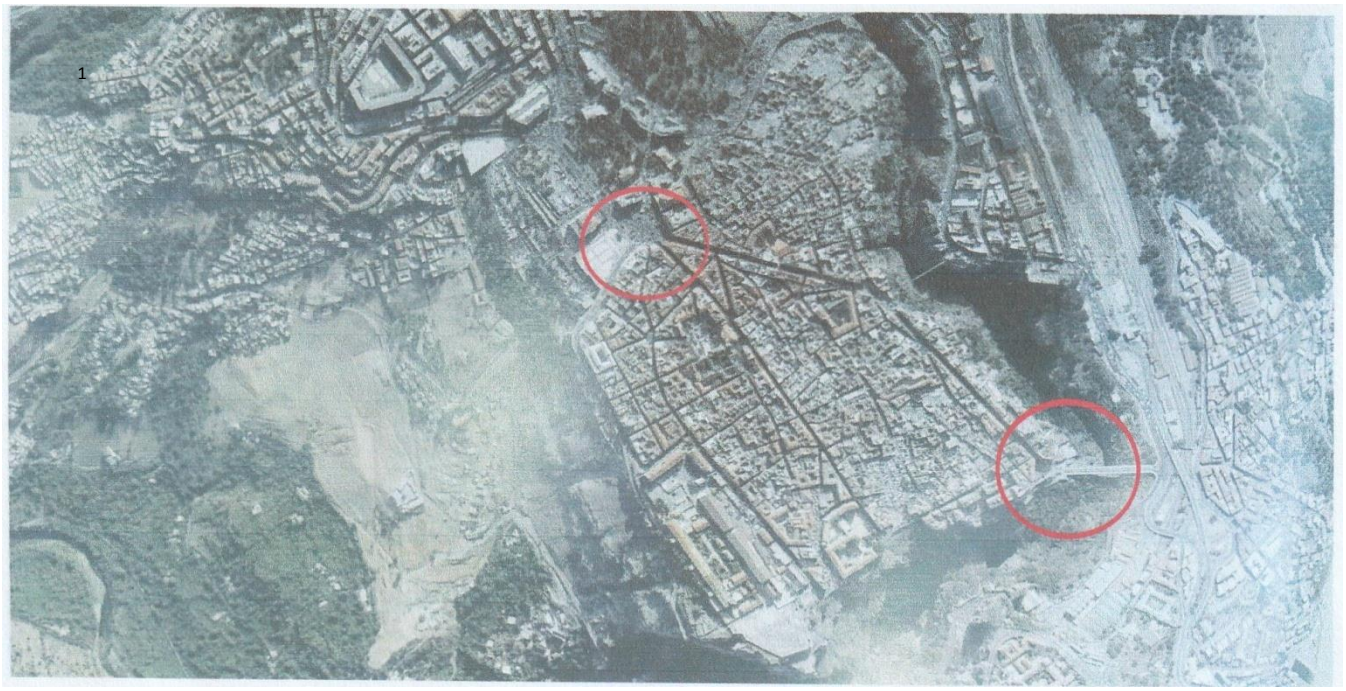

خريطة تبين مواقع الهجوم في الحملة الفرنسية على قسنطينة سنة 1836م

(1) عمار بن محمد بوزير، المرجع السابق، ص 34.

الملحق رقم (07):

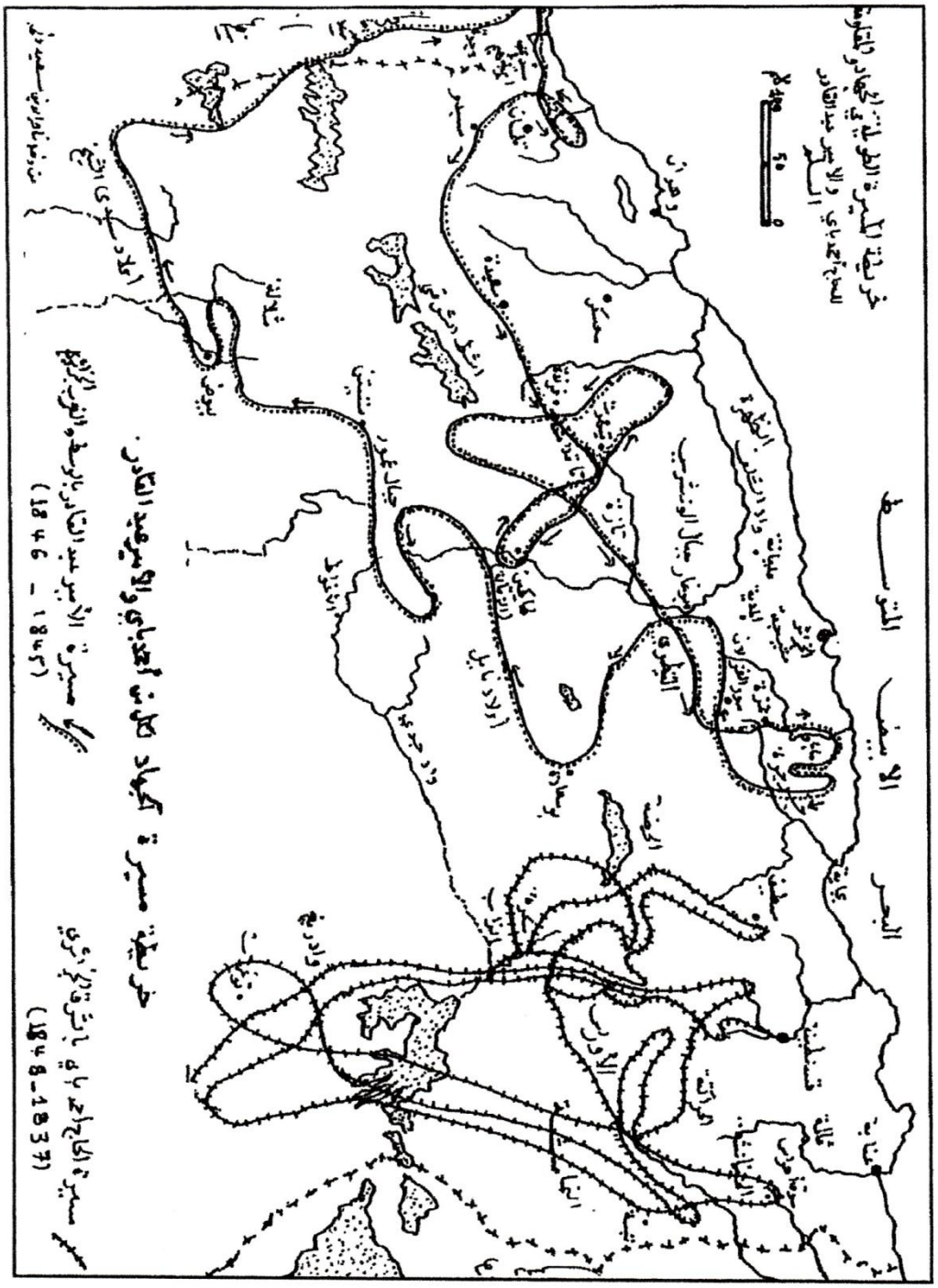

خريطة توضح مسيرة الجهاد لكل من أحمد باي والأمير عبد القادر

(1) ناصر الدين سعيدوني،عصر الأمير... ، المرجع السابق، ص 355.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن التوهامي مصطفى، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
2. بن العنتري محمد صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة: تق، تع، يحي بوعزيز، دار هومه، الجزائر، 2007م.
3. الجزائري الأمير محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تعليق داووه بخاري، رابح قادري، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2012م.
4. الجزائري محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، سيرتة الذاتية، ج1، المطبعة التجارية عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1930م.
5. دينيرن اف، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009م.
6. الزبيري محمد العربي: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
7. شرشل شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية، تونس، 1974م.
8. شلوصر فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي (1832، 1837م)، تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر،2007م.

المراجع:

1. أباضة نزار، الأمير عبد القادر الجزائري، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1994م.

2. أحميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة، 2005م.
3. أحميده عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004م.
4. أشنهو بن، الدولة الجزائرية في 1830م، مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2013م.
5. بجاوي محمد الصالح، الأمير عبد القادر في ولاية بويرة، المكتب العربي للمعارف، القاهرة ، 2016م.
6. بجاوي محمد الصالح، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي (1830 ـ 1918م)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.
7. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830– 1989م، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.
8. بن السبع عبد الرزاق، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، باتنة، 2000م.
9. بن خليف عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013م.
10. بن قفه خالد عمر، المؤسسة العسكرية الجزائرية والشرعية، دار الشروق، القبة، 2000م.
11. بن قنية عمر، الأمير عبد القادر الجزائري، المجاهد، الشاعر، المصور، دار أثالة للنشر، الجزائر، 2010م.
12. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
13. بوخالفة عزي، قسنطينة قلعة النور الخالدة، وزارة الثقافة، الجزائر، [د.س ن].

14. بورنان سعيد، رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر، (شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962م) ، ط3، دار الأمل، تيزي وزو، 2015م.

15. بوزير عمار بن محمد، مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري، [د.ن]، [د.م ن]، [د.س ن].

16. بوشاقور أحمد، تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954م، موفم للنشر، الجزائر، 2009م.

17. بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة ومقاوم (1830 ـ 1848م)، دار الحكمة، الجزائر، 2009م.

18. بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، سيرته الذاتية وجهاده، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

19. بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004م.

20. بيرجروجير أدريان، مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1834- 1838م)، تر: ابو القاسم سعد الله، ط2، دار غرناطة، الجزائر،2010م.

21. بيرم عبد المجيد، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م، تح: محمد الصغير بناني، ط7، دار الأمة، الجزائر، 2010م.

22. بيونت يوهان كارل، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005م.

23. تميم آسيا، الشخصيات الجزائرية، دار المسك، الجزائر، 2008م.

24. الجابري محمد الصالح، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1990م.

25. الجزار أحمد كمال، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، مراجعة: محمد ذكري إبراهيم، المطبعة العمرانية للأوفست، القاهرة، 1991م.

26. الجزائري الأمير عبد القادر بن محي الدين المتوفي 1355هـ، المواقف الروحية والفيوضات السيوحية، تع: عاصم إبراهيم الكالي الحسيني الشاذلي للدرقاوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

27. جوليان شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصرة (الغزو وبدايات الإستعمار 1827 ـ 1871م)، مجلد 1، دار الأمة، الجزائر، 2008م.

28. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائري العام، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2010م.

29. حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ط2، دار الرائد، الجزائر، 2004م.

30. حرز الله محمد العربي، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830 ـ 1930م)، دار السبيل، الجزائر، 2009م.

31. الحسني الجزائري بديعة، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، ج1، ط2، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الوعي، الجزائر، 2012.

32. الحسني بديعة، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، دار المعرفة، الجزائر، 2008م.

33. خليفي عبد القادر، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830– 1962م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010م.

34. خيضر إدريس، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830– 1962م)، ج1، دار الغرب، وهران، 2006م.

35. درويش أحمد، في صحبة الأمير بن أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، [د.م ن]، 2000م.

36. دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 ـ 1855م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

37. راشد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار النهضة الغربية، بيروت، 2004م.

38. الراشدي أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط2، تح: نصر الدين سعيدوني، البصائر، الجزائر، 2013م.

39. رجال الطاهر، الحاج أحمد باي وقصره، منشورات الرجاء، الجزائر، 2016م.

40. رزيق محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة تافنة 1837م، دار قرطبة، الجزائر، 2013م.

41. الزبيري محمد العربي، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2005م.

42. الزبيري محمد العربي، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2014م.

43. سحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية، ط1، تر: حبيب شنيني، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

44. سحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر: محمد يحياتن، المؤسسة الوطنية للاتصال، الرويبة، 2012م.

45. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الرائد، الجزائر، 2009م.

46. سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

47. سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير (1830– 1962م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م.

48. سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر ,2013م.

49. سعيدوني ناصر الدن، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

50. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

51. سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2000م.

52. السيد فؤاد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

53. الشيخ أبو عمران، قضايا في الثقافة والتاريخ، ط3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.

54. الصديق محمد الصالح، الجزائر بلد التحدي والصمود، موفم للنشر، الجزائر، 2009م.

55. الصلابي علي محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت، [د.س ن].

56. صيامي مصطفى، أسرى الأمير عبد القادر (1892-1847م)، تر: حضرية يوسفي، منشورات ANEP، الجزائر، 2013م.

57. ضيف جيلاني، الأمير عبد القادر الجزائري بين الدولة والأمة، دار أسامة، الجزائر، 2013م، ص 19.

58. عاشوراكس أحمد محمد، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني (1500- 1962م)، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009م.

59. عبد القادر سلاماني، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة (1832- 1847م)، دار قرطبة، الجزائر، 2013م.

60. عبد النور خيثر، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1954م)، المطبعة الرسمية، [د.م ن]، 2007م.

61. عثمان محمد، الأمير عبد القادر الجزائري رب السيف والقلم، الدار المصرية، القاهرة، 2013م.

62. العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، [د.س ن].

63. العسلي بسام، الأمير عبد القادر الجزائري، طبعة خاصة، دار النفائس، الجزائر، 2010م.

64. العسلي بسام، جهاد الشعب الجزائري، ج1، دار النفائس، بيروت، [د.س ن].

65. العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى الثورة النوفمبرية 1954م، دار البحث، الجزائر، 1985م.

66. عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

67. عميراوي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث، قسنطينة، 1984م.

68. غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2005م.

69. فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، مدرسة تاريخ شمال إفريقيا الحديث، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1979م.

70. فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826- 1850م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

71. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق م، 1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2002م.

72. فيلالي عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850م، دار الهدى، الجزائر، [د. س ن]، ص81.

73. قاسي فريدة، الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832-1847م)، مؤسسة بونة، الجزائر، 2012م.

74. قاصري محمد السعيد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1962م)، دار الإرشاد, الجزائر , 2013م.

75. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر (1830- 1954م)، تر: محمد المعراجي، وزارة المجاهدين، [د. م. ن]، 2008م.

76. قسمية عبد القادر، تأثر من الجزائر (رواية)، ط1، دار النفاس، لبنان، 2015م.

77. قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، الدار العثمانية، الجزائر، 2013م.

78. قنان جمال، دراسات في المقاومة والاستعمار, طبع المؤسسة الوطنية، رويبة، [د.س ن].

79. قنان جمال، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، (1830-1914م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.

80. كفيل الكسي دوطو، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي, ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

81. كمال بيرم، الإحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، دراسة وثائقية في انتصاب الإحتلال والمقاومات الشعبية وإدارة الأهالي (1838 ـ 1954م)، مطبعة بريز مارين، الجزائر، 2013م.

82. كوران ارجمند، السياسة العثمانية إتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر (1827 ، 1847م)، ط2، نق: عبد الجليل التميمي، تونس، 1974م.

83. لونيسي رابح وآخرون، رجال لهم تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.

84. محمصاجي قدور، شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، توليه الإمارة، تر: مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 2007م.

85. المدني أحمد توفيق، هذه الجزائر، مكتبة النهضة المصرية ,[د.م.ن]، 2001م.

86. مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، ج1، [د.د ن]، [د.م ن]، [د.س ن].

87. معاشي جميلة, الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ(19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة قسنطينة 2، 2014م.

88. مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 ـ 1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، [د.م ن]، 2014م.

89. مناصرية يوسف، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1962م)، دار هومة، الجزائر، 2013م.

90. منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

91. مياسي إبراهيم، المقاومة الشعبية، دار مدني، [د م ن]، 2008م.

92. مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830- 1962م)، دار هومة، الجزائر، 2007م.

93. الميلي محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، 1965م.

94. يحي جلال، السياسة الفرنسية في الجزائر (1830- 1960م)، دار المعرفة، القاهرة، [د س ن].

95. يحي جلال، تاريخ العرب الحديث، شركة الإسكندرية، الإسكندرية، [د. س. ن].

الرسائل الجامعية:

1. سعودي مراد، الإستراتيجية العسكرية للقادة الفرنسيين في الجزائر (1830، 1870م) دراسة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر والعالم المعاصرين، إشراف: إلياس نايت قاسي، المدرسية العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر, (2016- 2017م).
2. سلاماني عبد القادر، الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة (1832 -1847م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، قسم التاريخ والآثار، (2008- 2009م).
3. عبيد مصطفى، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان (1812 - 1884م)، دراسة تاريخية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، (2007، 2008م).
4. بيرم كمال، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الإحتلال الفرنسي (1840- 1954م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد لميش، جامعة منتوري قسنطينة،(2010،2011م).

المجلات:

1. بشوب عثمان، الثقافة، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، منشورات السهل، عدد 75، الجزائر، ماي، جوان 1983م.
2. سعيدوني ناصر الدين، العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، مجلة دراسات تاريخية، المجلد1، العدد2.

المقالات:

1. فركوس صالح، مواقف الأمير عبد القادر من السلطة التركية والحاج أحمد باي قسنطينة، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، رقم2، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945 ، قالمة، 2008م.

2. فركوس صالح، جهاد الحاج أحمد باي (1848 ـ 1830م)، أول نوفمبر سياسة تاريخية ثقافية إجتماعية،ع: 164، الجزائر، 2000م.

الموسوعات:

1. حداد حليم ميشال، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس، الجزائر)، موسوعة البلدان العربية، مؤسسة محمد علي، [د ، م ن]، 1998م.
2. فركوس صالح، موسوعة تاريخ جهاد الأمة الجزائرية من بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال (1830 ـ 1962م)، القافلة للنشر، الجزائر، [د.س ن].

الملتقيات:

1. ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

المراجع بالفرنسية:

1. Augene Vayssettes, Histoire de Constantine sous la domination turque 1514. 1837 présentation de ouarda siari tengour édition Bouchéne 2002.
2. bellemare, abdelkader ,sa vie politique er militaire edition bouchene alger , sam dat.
3. Delpech, Histoire de hadj A bdelkadev par Son Cousin el Hossin ben Ali ben Abi Talb Traduction pdar adrien De……1876.
4. Peal azan , l’ emir abdelkader (1808_1883)de fanatisme musulman au patriotime francais ,hachette paris 1925.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة.....أ-هـ

الفصل الأول: مقاومة الأمير عبد القادر

المبحث الأول: التعريف بشخصية الأمير عبد القادر.....07_25

أولا: نسبه ومولده.....07

ثانيا: نشأته.....10

ثالثا: توليه البيعة.....13

رابعا: بناء دولته.....19

المبحث الثاني: مراحل مقاومة الأمير عبد القادر .....25_36

أولا: مرحلة الإنطلاق والقوة (1832- 1837م).....25

ثانيا: مرحلة الهدوء المؤقت (1837- 1839م).....29

ثالثا: مرحلة الضعف (1839- 1847م).....30

الفصل الثاني: مقاومة الحاج أحمد باي

المبحث الأول: التعريف بشخصية أحمد باي.....38_45

أولا: نسبه ومولده.....38

ثالثا: نشأته.....40

ثالثا: توليه الحكم.....42

المبحث الثاني: مراحل مقاومة الحاج أحمد باي.....45_58

أولا: مرحلة تنظيم المقاومة (1836-1844م).....45

ثانيا: مرحلة التصدي للجيوش الفرنسية (1844- 1848م).....55

الفصل الثالث: العلاقة بين الأمير عبد القادر وأحمد باي

المبحث الأول: عوامل التشابه.....60_62

أولا: في التنظيم 60

ثانيا: في المواجهة..... 61

المبحث الثاني: عوامل الإختلاف .....62_70

أولا: الإنتماء العرقي..... 62

ثانيا: الموروث الفكري والثقافي..... 64

ثالثا: التدبير السياسي والدبلوماسي..... 64

المبحث الثالث: إنعكاسات العلاقة على المقاومة.....70_80

أولا: توقيع معاهدتي الأمير عبد القادر مع فرنسا وموقف الباي منها..... 70

ثانيا: حصار قسنطينة..... 73

ثالثا: علاقة أحمد باي والأمير عبد القادر بالباب العالي 75

خاتمة..... 82

الملاحق..... 85

قائمة المصادر والمراجع..... 93

فهرس المحتويات..... 105